

أبو الحسن علي بن النعمان

موقف العالم الإسلامي
تجاه
الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء
لكنهنو (الهند)

ابوآن على كنى الندى

موقف العالم الاسلامى
تجاه
الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامى العلمى ، ندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ الهند

الثمن

موقف العالم الإسلامي

تجاه

الحضارة الغربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

و بعد فهذه رسالة قد بحثت فيها عن موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية ، و هو موضوع على عملى حاسم لا يحتمل أدنى تأجيل ، و من أهم القضايا التى يواجهها العالم الاسلامى والأقطار التى نالت حريتها و استقلالها ، و تستطيع أن تقرر مصيرها ، و تحدد اتجاهها و موقفها من الحضارة الغربية ، فى حرية وانطلاق ، و على الموقف الذى تختاره هذه الأقطار و المجتمعات الاسلامية تجاه هذه الحضارة يتوقف موقفها من المنهج الاسلامى فى الحياة و الاجتماع و الأخلاق ، و مدى ارتباطها بالدين — بمعنى الكلمة الواسع — و خضوعها للروح الدينية و الفكرة الاسلامية و وفائها لرسالتها و مركزها ، و بالاختصار اتصافها بالامة الوسط التى أخرجت للناس .

و قد كثر فى هذا الموضوع الإفراط و التفريط ، و الإغراق فى التفاؤل و التشاؤم ، و طغت النزعات و الميول ،

و تأثير التربية و الثقافة و البيئات ، غير مؤسس على البحث العلمى
المجرد ، والنظرة الاسلاميه الخالصه ، و روح الكتاب و السنه
ونصوصها ، و سيرة السلف الصالح ، فأحدث ذلك صراعاً فكرياً
هائلاً فى العالم الاسلامى ، كانت عاقبته وخيمه للجيل الجديد ، وكان
العالم الاسلامى فى غنى عنه ، لو حكم الدين و تحرر من السيطرة
الفكرية و الثقافيه الاجنبيه ، و التقليد الاعمى ، و من رجعيه
التقدميين ، و حاولت جهدى أن أكون واقعياً أكثر من
أن أكون علياً ، أسترسل فى الخيال والمعانى الشعريه ، و أن
يتسم هذا البحث بالاتزان و الاقتصاد و السداد ، و حب الواقع
و إن لم يرض كثيراً من العاطفين و المتطرفين .

و قد استعرضت فى هذا البحث حركات التجديد و التطوير
فى العالم الاسلامى فى هذا القرن ، و حركات الدعوة إلى تقليد
الحضارة الغربيه ، و حركات الانتقاد و الثورة عليها ، و ذكرت
ما لها و ما عليها ، من غير تحيز إلى قسمة أو تقديس لفكره ،
و ترجمت لزعمائها وقادتها ، و قد ثارت حول كثير منهم شائعات
و مبالغات ، و اجتهدت أن أبرزهم فى ملاحظهم التاريخيه الصحيحه
و أصورهم تصويراً لا مثله فيه و لا تجميل ، حتى يستطيع القارئ
الكريم أن يحكم عليهم فى ضوء التاريخ ، و يكون رأيه عنهم ،
معتمداً فى ذلك على كتاباتهم ، و مرآة أفكارهم ، و سجل وقائعهم
و الوثائق التاريخيه .

وقد بدأت بهذا الموضوع كقال أ كته لمجلة « البعث الاسلامى »
ولكنه توسع و انشعب الحديث حتى تكون كتاب صغير أعتقد
أنه يجئى فى أوانه ، ويسد عوزاً فى مكتبتنا الاسلامية الفكرية
المعاصرة و يعين على التفكير و التخطيط فى المعركة الفكرية
الحامية ، التى يخوض فيها العالم الاسلامى اليوم ، و على الله قصد
السبيل و منها جازم

أبو الحسن على الحسنى الندوى
٢١ شعبان ١٣٨٢ هـ

المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الاسلامى أمام

مشكلة الحضارة الغربية : واجه العالم الاسلامى فى منتصف القرن التاسع عشر المسيحى مشكلة فى غاية الدقة و التعقد و الخطورة ، و على الموقف الذى يتخذه تجاه هذه المشكلة الحاسمة يتوقف مستقبله كعالم له شخصيته و كيانه .

هى مشكلة الحضارة الغربية الفتية ، الدافقة بالحياة و النشاط و الطموح و قوة الانتشار و الاستيلاء ، و هى من أقوى الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ ، و التى لم تكن إلا مظهراً من مظاهر العوامل التى تكونت و اختمرت قديماً ، و ظهرت فى أوانها .

واجه العالم الاسلامى هذه المشكلة وجهاً لوجه ، لأنه هو زعيم الرسالة الدينية و الخلقية ، و صاحب الوصاية على المجتمع البشرى ، بعد ما انسحبت الديانات القديمة من معترك الحياة ، و صاحب القوة الكبرى التى يحسب لها الحساب ، و صاحب الدول

الواسعة في هذا القرن ، فكان تحدى هذه الحضارة المادية الآلية للعالم الاسلامى أعظم من تحديها لآى أمة ، و لآى حضارة ، و لآى مجتمع بطبيعة الحال .

المزيج الغريب : و كانت هذه الحضارة — بمعناها الواسع — مجموع عقائد و مناهج فكرية ، و فلسفات و نظم سياسية و اقتصادية ، و علوم طبيعية و عمرانية ، و اجتماعية ، و تجارب خاصة مرت بها الشعوب الأوربية التى تزعمت هذه الحضارة فى رحلتها الطويلة ، و كانت مظهر تقدم العلم البشرى و علوم الطبيعة ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، و مجموع نتائج جهود علماء و باحثين عبر القرون .

فكانت مزيجاً غريباً من أجزاء لا يكون الحكم عليها واحداً متشابها ، كانت مزيجاً من السليم و السقيم ، و من الصواب و الخطأ فى النتائج و الاحكام .

و من البديهيات فى العلم التى لا تقبل الجدل و الشك ، و من التخمينات و التحكمات فى الآراء و الدعاوى التى تقبل المناقشة الطويلة و الجدل الكثير ، و مما هو خميرة من الاختبارات و البحوث الطويلة و مما هو فج لا يزال فى دور التجربة و الاختبار ، و النشوء و الارتقاء ، و مما لا يختص باقليم أو عنصر من علوم تطبيقية ، و بالعكس مما تجلت فيه الطبيعة الأوربية ، و أثرت فيه البيئة الغربية ، و ولدته حوادث تاريخية خاصة اكتوت بناها هذه الأمم ، و

مما له صلة قوية عميقة بالدين و العقائد ، و مما لا صلة له بالدين مطلقاً ، و ذلك الذى زاد فى تعقد هذه المشكلة و خطورتها ، و أخرج مركز العالم الاسلامى ، و كان فيه بلاء و محنة لذكاء قاداته و زعمائه ، و أصحاب التوجيه فيه .

الموقف الأول السلبى : و كانت هنالك ثلاثة مواقف يستطيع العالم الاسلامى أن يقفها أمام هذه المشكلة الطريفة ، لا أرى لهذه الثلاثة رابعاً .

كان الموقف الأول موقف السلب ، و هو أن يرفض العالم الاسلامى هذه الحضارة و ما جاءت به بتاتا ، و يقف منها موقف المعارض النائر ، أو موقف المعتزل الحائد ، لا يقتبس منها شيئاً و لا يسمح بدخول علم من العلوم التى كان للأوروبيين فيها التفوق و الاختصاص ، و لا يتفجع بتجارب الغرب فى مجالات الطبيعة و الكيمياء و الرياضة و علم ميكانيكا ، و لا يستورد شيئاً من الآلات ، و الصنائع و الأجهزة ، و أدوات الحرب و البضائع و مرافق الحياة .

حكم هذا الموقف

طبيعياً و شرعياً و نتائجهُ : و هذا لابد ينتج التخلف الشديد عن ركب الحياة ، و يقطع صلة هذا الجزء عن باقى العالم ، و يكون جزيرة منقطعة لا مناعة لها و لا قيمة ، و البر لا مكان فيه للجزر المنقطعة الصغيرة ، و لا حرب مع الطبيعة البشرية ، و منطق

الحوادث و الحقائق ، و هو - بصرف النظر عن كل هذا - ضيق في العقل ، و تعطيل للقوى الفطرية ، و جناية على الاسلام ، و سوء تفسير للدين الذى يحث على استعمال العقل و التفكير فى السكون (١) و اقتباس الصالح النافع أينما كان مصدره (٢) . و يأمر باعداد القوة الممكنة للدفاع عن الدين و إرهاب العدو (٣) و ينظر إلى الانسان كخليفة الله فى هذه الأرض (٤) سخر له البحار و الأنهار ، و سخر له الشمس و القمر و سخر له الليل و النهار ، و آتاه من كل ما سأله بلسان المقال أو بلسان الحال (٥) و امتن على عباده بانزال الحديد الذى فيه بأس شديد و منافع للناس (٦) و ضرب رسوله المثل لأئمة باقتباس بعض أساليب الحرب

١ - إن فى خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار آيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحانه فقتنا عذاب النار ، (آل عمران) ١٩٠ - ١٩١ .

٢ - الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها

٣ - و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله عدوكم الآية (الانفال) ٦٠ .

٤ - لئن جاعل فى الأرض خليفة (البقرة ٢٠)

٥ - الله الذى خلق السموات و الأرض ، و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره و سخر لكم الأنهار و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار ، و آتاكم من كل ما سألتموه ، و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار (ابراهيم ٣٢ - ٣٣ - ٣٤) ٦ - و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس (الحديد ٢٥)

و الدفاع من غير المسلمين و غير العرب ، فخر الخندق في
الأحزاب كما كان يحفره الفرس ، و على هذه السيرة سار أصحابه
و فقهاء أمتهم من بعده ، فكانوا يسأرون الزمن و يجارون
الأمم في الأساليب الحربية و اتخاذ آلات الحرب و وسائل القوة ،
و تعلم العلوم النافعة ، و يسبقونها أحيانا .

و لو حاول قطر من الأقطار أن يطبق عينه و سمعه عن
تحدى هذه الحضارة الصارخ أو أن يرفضها رفضاً باتاً ، و صمم
على أن يعيش في عزلة عن العالم المعاصر ، منطوياً على نفسه لما
استطاع ذلك ، ولواجه ثورات لا آخر لها ، و عصياناً و تمرداً في الداخل ،
لأنه يعارض الفطرة الإنسانية الوثابة الطموح ، الولوع بالجديد
الطالبة للمزيد ، الطامحة دائماً إلى المجد و القوة و التجديد ، و
يعارض كذلك السنن الكونية و طبائع الأشياء ، و لو فعل ذلك
قطر من الأقطار لتسربت هذه الحضارة إلى أسر هذا القطر و
بيوته ، كما يتسرب الماء في القرية أو المدينة إذا أحاط بها السيل
من كل جانب ، و طغى عليها الفيضان .

مصير الأقطار التي تعيش

في عزلة عن العالم : لقد كانت الفترة التي عاشت فيها بعض
الأقطار الإسلامية بعيدة عن الحضارة الحديثة بخيرها و شرها ،
زاهدة في مراقبتها و أساليبها ، منطوية على نفسها ، لقد كانت
هذه الفترة دائماً قصيرة مضطربة مهددة بالغزو و الحضارى ، و

الثقافى من الخارج ، و موجات هذه المدينة العاتية التى تغفل إلى الجذور و الأعماق ، و تذهب بالقيم و المفاهيم و مبادئ الأخلاق ، و يشك كل عاقل عرف قوة نفوذ هذه الحضارة وسعته و عرف ضعف هذه الأقطار الروحية و المادى و فقدان ما يقاوم هذه الحضارة من إيمان و قوة شخصية وثقة ، يشك فى بقاء هذه الأقطار فى سلخها و حصارها المدنى والثقافى والاجتماعى ، و يشك فى طول هذه الفترة ، لأنها — مع وجود هذا الضعف فى الشخصية و الفقر فى القوة المعنوية — غير صالحة للطول و الإمتداد ، فضلا عن البقاء و الإستمرار .

زار الأستاذ محمد أسد — الذى عاش فى أوربا و تجول فى العالم الاسلامى — الجزيرة العربية الوداعة الهادئة فى سنة ١٩٣٢ م و هى لا تزال متمسكة بتقاليدها العربية الاسلامية أشبه بالماضى منها بالحاضر ، لم تجس خلالها الحضارة الغربية ، و لم تقتحم سورها — الرملى — الأساليب الغربية و المصنوعات الحديثة ، فشك فى طول حياة هذه العزلة ، و البعد عن تأثير الحضارة الغربية التى طوقت الجزيرة ، فقال :

« و عند ما وصلت بتفكيرى إلى ذلك الحد : سألت نفسى فجأة ، إلى متى يستطيع زيد (١) و قوم زيد (العرب) أن

١ - البدوى العربى الذى كان مرافق محمد أسد فى مغامراته ورحلاته فى صحراء

العرب ، و دليله فى هذه الرحلة .

يحتفظوا بتماسكهم الروحي في وجه الخطر الذي يطبق عليهم بكثير من الخداع و المكر ، و بصورة لا تعرف الرحمة ، أوللين ؟ نحن نعيش في زمن لم يعد الشرق فيه يستطيع أن يبقى ساكناً سليماً في وجه الغرب الآخذ بالاطباق عليه ، إن آفاقاً من القوى — السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية — تطرق أبواب العالم الاسلامي فهل يخضع هذا العالم و يستسلم إلى حضارة الغرب و يفقد خلال التفاعل ، لا أشكاله و أنظمتها التقليدية فحسب بل جذوره الروحية أيضاً (١) .

نعم لم تطل هذه الفترة فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن غزتها الحضارة الغربية و تدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ، و المستوردات الغربية ، و أكثر من أسباب الترف و من الكماليات ، فشحت الأسواق ، و ملأت البيوت ، و قضت على التقشف في الحياة و صفات الفتوة و الفروسية التي عرف بها العرب من قديم الزمان ، و كانت من أسباب قوتهم و انتصارهم ، و ظهر اتصال الجزيرة بالغرب عن طريق الحضارة و الثقافة و السياسة و عن طريق البترول ، و كان هذا الاتصال و هذا الاقتباس من الغرب في مجال الحضارة و التجارة و الثقافة عن ارتجال و تهور و من غير تفكير هادئ و تصميم سابق ، فأصبح هذا الاستسلام للغرب الذي تخوف منه الأستاذ محمد أسد

أمراً واقعاً ، وأصبحت الجذور الروحية — فضلاً عن الأشكال
و الأنظمة التقليدية — مهددة .

التقاليد والعادات لا تستطيع

أن تقاوم الحضارة الجديدة : ولن تطول هذه الفترة - السلبية -
في أى قطر من أقطار الشرق لأن التقاليد والعادات والجهاز
الاجتماعى أو الإدارى الذى ليس وراءه عقيدة راسخة قائمة على
فقه وبصيرة ، وليس معه ذكاء و ألمعية ، و المقدرة الكافية
على تطبيق الحقائق و المبادئ الدينية الخالدة بالحياة المتطورة و
حاجاتها الجديدة ، و التمييز بين ما يصلح للاقتباس من الحضارة
الجديدة و منتجاتها و ما لا يصلح ، لا يستطيع أن يقف طويلاً
في وجه هذه الحضارة العارمة ، و كل قطر أو قيادة تمنى نفسها
بالاحتفاظ بالقديم ، و الانحصر في دائرتها من غير هذه المقومات
التي ذكرناها و من غير إيمان جديد قوى ، و عقل واع منتج
مهددة بالانهيار عاجلاً أو آجلاً .

و إذا لم يكن الاقتباس من الحضارة الغربية و مراقبتها
و منتجاتها عن إرادة و تصميم ، و باختيار و تمييز ، و عن
فقه و بصيرة ، هجمت هذه الحضارة على هذا القطر أو المجتمع
غصباً ، و على الرغم من قادته و ولادة الأمر فيه ، و على الرغم
من العلماء و زعماء الدين ، و رحب بها أهل البلاد ، و فتحوا
لها الأبواب ، و اتهموها — بصالحها و فاسدها — في نهامة

و جشع ، و اكتسحت القيم الدنية و الخلقية و غلب قادة البلاد
أو ولايتها على أمرهم ، و أفلت منهم الزمام إلى آخر الأبد .
لابد من التخطيط .

وإصلاح الأوضاع : لقد أصبحت الأقطار الشرقية — من
غير استثناء تقريباً — فريسة الحضارة الغربية في الزمن الأخير ،
و انجرفت في سيلها العارم من غير امتناع ، أو مقاومة لفقدان
العقل الراجح المتزن في القيادة و فقدان « عملية التمييز و
الاختيار المحكمة » في الوجهين ، و عدم وجود التصميم أو التخطيط
الحكيم في نظام المعارف و تنظيم البلاد تنظيمًا جديدًا قائمًا
على التجارب الحديثة ، و بسبب وجود نظم و أوضاع كانت
نتيجة الانحراف عن التعاليم الإسلامية الصحيحة ، لا يقرها العقل
و العدل ، و لا تصلح للبقاء في أى عصر من العصور فضلاً عن
هذا العصر القلق الثائر .

و هذه قصة أفغانستان التى عرفت في الشرق بشدة محافظتها
و تمسكها بالقديم و التقاليد الأفغانية القديمة ، فقد استطاعت
أن تعيش بعيدة عن تأثير الحضارة الغربية محتفظة بتراثها القديم
من ثقافة و اجتماع ، تزهّد في الجديد الصالح حتى رفعت الحجاب
بينها و بين الحضارة أخيراً و بدأت تهجم على الحضارة الغربية
و عاداتها و تأخذها بنهامة و شغف .

و تكاد تكون هذه قصة اليمن ، و جميع الأقطار الإسلامية

التي أقامت حولها سوراً عالياً يمنع من دخول كل جديد ، من العلوم المفيدة ، و التنظيمات الصالحة ، و الوسائل البريئة وطرق ترفيه الشعب ، و تقوية البلاد عسكرياً و صناعياً و تمويناً .
و لقد كان الوعي الاسلامى كافياً و كافلاً لإصلاح هذه الاوضاع و لكنه كان ضعيفاً أو مغلوباً على أمره ، حتى جاءت هذه الحضارة المادية الثائرة تنادى في شتى كثير من الغلو و الاسراف بالحرية و المساواة ، و تدعو إلى قلب الاوضاع القديمة مهما كانت ، فتفشى القلق و التذمر في هذا المجتمع ، و قوى الشعور و تضخم بفساد هذه الاوضاع و عدم صلاحيتها للبقاء ، و جاشت النفوس بالكره و الثورة على الاوضاع القائمة مهما كانت عاقبتها ، و هذا سر ظهور الثورات العسكرية في الاقطار الاسلامية ثورة بعد ثورة ، و حكم عسكري على اثر حكم عسكري آخر .

سبب حدوث الثورات في

العالم الاسلامى و علاجه : و لعل العالم الاسلامى كان أكثر استعداداً و تهيؤاً لهذه الثورات لوجود الوعي الدينى ، الذى يبعث على القلق و الانكار في هذه البلاد أكثر من عالم آخر أو مجتمع آخر ، أو لفساد الاوضاع فيه أكثر من أى ناحية . و مادام التخلف في الحياة و القوة و مادام الفقر المدقع في بعض الطبقات الذى لا يجد معه صاحبه ما يقيم الصاب ، و يكسو

العورة ، و يمسك الرمح ، و مادام الثراء الفاحش ، و الاكتناز
المجرم و العبث بالأموال إلى حد السفاهة و الجنون ، و مادام
الترف و الفجور و الاستهتار في طبقات الامراء و الاغنياء
تروى قصصه المضحكة المبكية في كل ناد و في كل صحيفة ، و مادام
الجهل ضاربا أطنابه على الشعب ، و مادام العلماء و زعماء الدين
يتقاصرون عن أداء واجبهم الديني ، و إزفاء كلية الحق أمام
الأقوياء و الأغنياء و يتنافسون في المناصب و الوظائف و
يتصارعون على التافة من الخلافات و الحسيس من المادة ، و
حكاياتهم تروى و تتناقل ، و مادامت الترية الدينية و الأمثلة
العملية — في الورع و الزهادة و سمو النفس و الشجاعة الدينية —
مفقودة أو نادرة في حكم المعدم ، و مادامت الدعايات و
الدعوات تسرب إلى المجتمع و تجدد مرتعا خصبا في النفوس ،
و أدلة و مؤيدات في الأوضاع ، مادام هذا الوضع الغير الطبيعي
و الغير الاسلامي سائداً في هذه الأقطار الاسلامية فإنها مهددة
— لا محالة — بالفوضى الخلقية و السياسية ، معرضة للثورات
العسكرية أو الشعبية ، واقفة على فوهة بركان متهيئ للانفجار
في أى وقت كان .

و لا يمنع من ذلك سلطة قوية ، أو عقاب صارم ، أو
محاسبة دقيقة ، أو مراقبة تحاسب على الناس الأنفاس و تتبع
الخواطر و الهواجس ، و لا دعايات صحفية أو إذاعية ، و لا بذل

أموال طائلة على أصحاب الأغراض و المطامع ، و لا مآدب
سخية في السفارات ، و لا مشروعات ترضى أصحاب العاطفة
الدينية ، إنما سبيله مواجهة الحقائق بشجاعة و علم ، و إصلاح
الأوضاع باخلاص و صدق ، و إزالة ما يجب إزالته من
الفساد ، و تحقيق ما يجب تحقيقه من المطالب ، و تحقيق العدالة
الاجتماعية كما أمر بها الاسلام و ثبت في صريح القرآن و صحيح
السنة ، و السعى الحثيث لرخاء الشعب ، و أن يجد كل فرد
من أفراد الشعب — بقدر الامكان — قوته ، و منع البذخ
الذي يحول بين الشعب و قوته ، و حاجياته ، و أن يسبك
نظام المعارف سبكاً جديداً يتفق مع عقيدة هذه البلاد و رسالتها
و مع تطور العصر الحديث و علومه الجديدة ، و يخلق في الجيل
الجديد الايمان و الخلق و الاستقامة و الثقة بالنفس ، و
الاعتزاز بالدين و الحماسة في سبيله ، و يخلق فيه روح الابتكار
و الاستقلال الفكري ، و العصامية و مواجهة الغرب بشجاعة
و ذكاء ، و إعادة الروح الدينية و الايمان القوى ، و الشعور
بالخلق ، و الوعي الاسلامي ، في الشعب ، و إزالة القلق و التذمر
بازالة أسبابهما و دواعيهما ، و بإصلاح الأوضاع و السير
و الاقتباس من الغرب ما يصلح لشعب إسلامي ، و يتفق مع
عقيدته السمحة ، و ما له قيمة عملية إيجابية ، و ما يقوى الشعب
و ينفعه في كفاح الحياة و المجد والدعوة إلى الله .

هذا هو السبيل الوحيد لإقرار الأمن و السلام ، في هذه المناطق الشرقية الاسلامية ، و بقاء هذه الشعوب على إسلاميتها و عقيدتها و سيرتها الدينية ، و بعبارة علمية مركزة « إن العالم الاسلامى و أقطاره فى حاجة إلى بناء مجتمع اسلامى تقدمى عادل تستطيع فيه الطريقة الاسلامية فى الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً (١) »

الموقف الثانى موقف

الاستسلام و التقليد : و الموقف الثانى ، موقف الاستسلام و الخضوع الكامل ، موقف المقلد المؤمن المتحمس ، و التليذ البار الصغير الذى لم يبلغ بعد سن التمييز ، و هو أن يقبل العالم الاسلامى — أو جزء منه — هذه الحضارة — المادية الآلية ذات الطبيعة الخاصة — بحذافيرها ، يقبلها بعقائدها الأساسية ، و مناهجها الفكرية ، و فلسفاتها المادية ، و نظمها الاقتصادية و السياسية ، التى نشأت و اختمرت فى بيئة بعيدة عن بيئة هذه الأقطار تحت ضغط عوامل و حوادث خاصة ، و بتوجيهها ، و يحاول تطبيقها فى هذا البلد الاسلامى برمتها ، و يتحمل فى سبيل ذلك كل صعوبة و عنت ، و يدفع له أعظم ثمن ، و أبهظ قيمة .

١ - استفدنا فى هذا التعبير من بعض ما جاء فى كتاب « الطريق إلى مكة » ،

للاستاذ محمد أسد ص ٢٢٠ .

حركة « التغريب »

في تركيا وأسبابها : و قد سبقت — إلى هذا الأسلوب من التفكير والمنهج من العمل — تركيا الإسلامية ، و كان ذلك نتيجة طبيعية لعوامل كثيرة ، و رحلة طويلة ، فقد حاربت أوروبا مدة طويلة من غير أن تستعد لهذه الحرب ، و تسلح بسلاح عدوها العلمى و الصناعى ، و فرطت فى اقتباس العلوم المفيدة من أوروبا و الصناعات و الفنون الحربية و التنظيم الإدارى تفریطاً مجرماً ، و أبدى العلماء و زعماء الدين ضعفاً و قصوراً فى توجيه الأمة و البلاد توجيهاً علمياً و فكرياً ، و فى الإشراف على اتجاهاتها التى يفرضها الزمان و المكان ، و تغير الأحوال فى العالم كله ، و تقرير الصالح منها ، و تزييف الطالح ، و وقفوا على ما وقف عليه العلم و المعرفة و التفكير ، فى القرن الثامن عشر ، و فوق كل ذلك فقد استغل السلاطين — إلا من عصم ربك — اسم الدين و اسم الخلافة لصيانة مصالحهم الخاصة ، و تحقيق رغباتهم ، و كانوا من أسباب تأخر البلاد ، و الهزائم و الانتكاسات التى تحققت بالأمة ، و بمالة الأعداء فى أحيان .

أما الجيل الجديد ، الذى كان يتلقى ثقافته فى عواصم أوروبا أو فى بعض الكليات العصرية ، فى تركيا ، فقد نشأ على الاستهانة بقيمة الدين و اليأس من مستقبله ، و كراهة رجاله و احتقارهم و على تقديس الحضارة الغربية و تمجيدها ، و الخضوع الزائد

للقيم المادية و المفاهيم الغربية ، و فقد في هذا الجليل العقل النابغ المتعمق الذى يقدر على نقد فلسفة الحياة الغربية و معرفة جوانب الضعف فيها ، و جوانب الافراط و التطرف و معرفة ما يصلح لتركيا الزعيمة للعالم الاسلامى اقتباسه و الافادة منه ، و ما لا يصلح و لا يتفق مع طبيعتها و تاريخها و مكانتها فى العالم و مركزها فى الشرق الاسلامى ، و أكثرهم من نوع « العسكريين » و المعلمين الذين لم تكن ثقافتهم واسعة و لاعيقة و لاحرة (١) أو الذين انتهت بهم تجارب حياتهم الخاصة ، و ما لقوا من العلماء و « المحافظين » من تشييط أو عدم تشجيع ، و ما جربوه فيهم من جمود و ضيق تفكير ، و ما رأوه فى الجليل المسلم القديم ، و زعمائه من النفاق ، يقولون ما لا يفعلون ، و ينهون عن شئ و يأتونه ، أو ما شاهدوه فى البلاد من تأخر و ضعف

١ - تقول الفاضلة خالدة اديب خانم فى كتابها « الصراع فى تركيا بين الغرب و الشرق » كان أعضاء جمعية الاتحاد و الترقى الشبان من صفار الموظفين الرسميين ، أو ضباطاً فى الجيش ، و لم يكن فيهم فى أول الأمر فرد واحد ، حائزاً على مكانة عليية سامية ، و يفهم الفرق بين العصر القديم و العصر الحديث فى ضوء التحليل و النقد العلمى ، و لكن هؤلاء الشباب كانوا أقرب إلى الشعب و كانوا إنتاجاً وطنياً خالصاً ، و كان معظمهم من أهل مقدونية الذين اشتروا بحب الواقعية و القسوة ، و لا يتحاشون عن شئ فى سبيل الوصول إلى غايتهم ، لذلك رغم أنهم كانوا يهدفون إلى غاية نبيلة ، كانوا يستخدمون جميع الوسائل للوصول إلى غرضهم من غير احتشام و تورع .

Conflict Between Est - West In Turkey

اتهى بهم كل ذلك إلى الثورة على كل قديم ، و على كل موجود ،
و على التصميم على « تغريب » تركيا .

ضياء كوك الب و فلسفته : و وجد مثل (ضياء كوك
الب) (١) في مجال التفكير ، الذى دعا بكل قوة و صراحة
إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، و تكوينها تكويناً غريباً
قومياً خالصاً ، و إيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد
للحضارة القديمة التى ساهم الأتراك — على زعمه — فى تكوينها
و حراستها ، يقول فى مقالة له :

« إن الحضارة الغربية امتداد للحضارة حوض البحر
الايض المتوسط القديمة ، و كان مؤسسو هذه الحضارة — التى
نسميها بحضارة البحر الايض المتوسط — من الأتراك ، مثل
السماريين ، و الفينقيين و الرعاة ، لقد كان فى التاريخ ، عصر
طورانى قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى
كانوا أجدادنا و فى زمن متأخر جداً ، رقى الأتراك المسلمون
هذه الحضارة و نقلوها إلى الأوربيين ، و بتحطيم الامبراطوريتين

١ - ولد فى سنة ١٨٧٦ م و تعلم فى استبول ، و عين استاذاً لعلم الاجتماع ،
فى جامعة استبول ، و كتب معظم مقالاته بين ١٩١١ و ١٩١٨ م و بين
١٩٢٢ و ١٩٢٤ السنة التى توفى فيها ، و يعتبر كمال أمانورك تلميذاً له فى آرائه
& اتجاهاته ، و مطبقاً لما رسمه ضياء من المشروعات و الخططات الفكرية فى
بحوثه و مقالاته

الرومانيتين الغربية والشرقية أحدث الأتراك انقلاباً في تاريخ أوروبا ، لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية ولنا سهم فيها ، ويذكر موجبات اعتناق الحضارة الغربية وما يحدث ذلك من انقلاب ، وما يفيض من قوة وروح جديدة ، و مركز في العالم ، و أنه لا يستلزم الإنسلاخ من الدين القديم ، فيقول : « حين تقطع أمة شأواً بعيداً في نشوئها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضاً ، لما كان الأتراك قبائل رحالة في آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، و لما اتجهوا إلى عصر « السلطنة » دخلوا في مساحة الحضارة البرنطية ، و الآن في طور انتقالهم إلى الحكومة الشعبية ، هم مصممون على قبول حضارة الغرب .

إن شعوباً تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة ، إن اليابانيين و اليهود يشاركون الأوربيين في حضارة واحدة ، رغم اختلافهم في الدين و العقيدة ، و بعبارة أخرى الدين و الحضارة شيان مختلفان ، لذلك من المغالطة أن تسمى « حضارة اسلامية » كما لا يصح أن تسمى « حضارة مسيحية » الدين محدود في العقيدة و الطقوس التي لا صلة للفنون و العلوم بها ،

« لما حرر الغربيون أنفسهم من رواسب القرون الوسطى كان المسيحيون الحاضغون للكنيسة ، الارثوذكسية في روسيا

لا يزالون عبيداً لها ، و قد عانى بطرس العظيم صعوبات شديدة في كفاحه لتحرير الشعب الروسى من سيطرة الحضارة البزنطية ، و تقديمهم إلى الحضارة الغربية ، و لكنى يعرف الانسان ما هى الوسائل و الأساليب التى يجب أن تستخدم لتغريب البلاد و طبعها بطابع الغرب يكفى أن يدرس تاريخ إصلاحات بطرس ، و كان الناس يعتقدون إلى ذلك الحين أن الروسين لا يصلحون للتقدم ، و لكنهم بعد الثورة بدأوا يتقدمون بسرعة زائدة ، و يقطعون شوطاً بعيداً فى ميدان النهضة ، و هذه الحقيقة التاريخية تكفى لاثبات أن الحضارة الغربية هى الشارع الوحيد إلى التقدم ، « علينا أن نختار إحدى الطريقتين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب ، لابد أن نختار أحد الأمرين ، يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لندافع عن حريتنا و استقلالنا »

دور تركيا التقليدى : إن قادة هذا الفكر و الدعوة التى يتزعمها ضياء كوك الب ، كانوا يستحقون إعجاباً كبيراً من المؤرخين المنصفين ، و رجال الفكر الأحرار فى العالم الاسلامى ، و إن تركيا كانت تحتل مركزاً خطيراً ، فى خريطة العالم السياسية ، و الثقافية ، و الاجتماعية ، و قد تغير مجرى التاريخ إذا سيطرت على الحضارة الغربية ، و امتلكت ناصيتها تقودها و تسييرها ، إلى غاية مرسومة ، و تصرف فيها تصرف القائد

الحر ، الذى يملك إرادته ، و العالم المجتهد الذى يفكر بعقله ،
و كانت القدوة الحسنة للشعوب الشرقية الاسلامية التى تعاني
الصراع العنيف بين الشرق و الغرب ، و تواجه تحدى الحضارة
الحديثة السافر ، و تنظر إلى تركيا كزعيم و إمام ، و أول
من اکتوى من الشعوب الاسلامية بنار هذا الصراع بين الغرب
و الشرق و واجه زحف الحضارة الغربية و فلسفة الحياة الحديثة .
و لكن ذلك — مع الأسف — لم يتحقق ، إن الذى
تحقق هو تقليد تركيا للحضارة الغربية و تمسكها ببعض شعاراتها
و مظاهرها ، و الإصلاحات السطحية التى لا تقدم و لا تؤخر
فى حياة الشعوب و الأمم و المجتمعات و المدينيات ، و لاصلة
لها بالقوة الحقيقية و العظمة السياسية ، و التى فصلت تركيا عن
ماضيها القريب ، و عن التراث العلمى الغنى الذى ساهمت فى
تكوينه الاجيال الكثيرة و العقول الكبيرة ، و فصلت تركيا
— زعيمة العالم الاسلامى بالأمس — عن العالم الاسلامى ، و
أحدثت فجوة عميقة بين رجال الحكم و التوجيه ، و بين الشعب
المسلم القوى ، الفائض بالحب و الايمان و العاطفة الدينية ،
الذى ملأ قلوب العالم مهابة و إجلالا لقوة هذه العاطفة و
تدققها ، و استطاع أن يقف فى وجه أوربا و غاراتها الساحقة ،
و مؤمراتها الدقيقة المستمرة ، التى لم تنقطع و لم تقف يوما واحداً
و التى لا قبل لامة عادية بها ، رغم الضعف الشديد المستمر فى

الطبقة الحاكمة ، و الخيانة في الضباط و أفقد الشعب النشاط و الثقة ، و الجلسة التي كانت من أبرز مزايا هذا الشعب المسلم الخالد ، و أحدثت اضطراباً في المجتمع و فتوراً في إجابة الدعوات التي تصدر من القيادة و مركز الحكم ، و احتاجت الحكومات المختلفة إلى كبت هذا الشعور و كبح هذه العاطفة ، و تحويل الأمة إلى المادية و القومية و الحضارة الغربية ، و الانحصر في دائرة التفكير الضيقة و المساحة المحدودة بعنف و قسوة لا نظير لها ، ذهب ضحيتها رجال كان فيهم الغناء الكبير للأمة ، و الخير الكثير للبلاد ، و لا يزال الصراع قائماً بين العقيلة الحاكمة و عقيلة الشعب المغلوب على أمره ، و لا تزال الشرارة - الايمانية - كامنة في النفوس و القلب مستعدة للإلهاب بأدنى حركة و أضعف إشارة .

إن دور الشعب التركي في اقتباس الحضارة الغربية كان دوراً تقليدياً يخلو من كل « أصالة » و من كل ابتكار ، و من كل عصامية ، و من كل إنتاج ، فلم تعمل شيئاً جدياً للسيطرة على هذه الحضارة التي انطلقت من الغرب المادى ، السيطرة التي دعا إليها ، و حلم بها ، ضياء كوك الب ، في مقالته السابقة ، و لم تعمل شيئاً لامتلاك ناصيتها ، و التغلب على قيادتها ، إنما كان دورها دور الاستيراد و دور الاستعارة و دور التطبيق ، لا أقل و لا أكثر ، و لم ينبغ فيها في هذه الفترة نابغة ، في

العلوم التطبيقية : و لا عملاق في العلوم و الآداب ، و لا مؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر و الفلسفة ، و لا من يضيف إلى هذه الحضارة شيئاً أصيلاً له قيمته العلمية ، و لذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على حاشية الشعوب الأوروبية، و لم يكن هذا قيمة ما ضحى به هذا الشعب من السطوة السياسية و الحماسة الدينية ، و الدوافع الخلقية و الزعامة في العالم الاسلامي .

شخصية أتاترك

ومآثرته التقليدية : لم يكن كمال أتاتورك (١) — مؤسس تركيا

١ - هو مصطفى كمال باشا بن علي رضا بك ، ولد بمدينة سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م ، وأصل أسرته من قرية بالاناضول ، و التحق بمدرسة ابتدائية دير على النهج الأوروبي الحديث ، ثم بمدرسة أهلية ثانوية فمكث بها سنة ثم تركها و دخل مدرسة حرية ، ثم انتقل إلى المدرسة الحربية باستانبول و تخرج منها ضابطاً ، و كان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، و اشترك في بعض المؤامرات ضده ، فقبض عليه و نفي إلى دمشق و هرب منها إلى سلانيك ، و التحق بجمعية الاتحاد و الترقى ، و التحق بالجيش ، و عهد إليه بالاشراف على سكة حديد مقدونية ، و خلع السلطان عبد الحميد ١٣٢٧ - ١٩٠٩ ، و قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م و انضمت تركيا إلى ألمانيا و النساء ، و اشترك كمال في هذه الحرب و كان له موقف عظيم في معركة غاليسبول سنة ١٩١٥ م فذاعت به شهرته و انتهت الحرب سنة ١٩١٨ م بهزيمة ألمانيا و تركيا ، و احتلت إنجلترا و حلفاؤها استانبول ، و اختل الأمن في بلاد الاناضول فاختر كمال ليقوم بحفظ النظام سنة ١٩١٩ م و أعلن الحرب على اليونان الذين استولوا على أزمير و انتصر عليهم سنة ١٩٢١ م في معركة سقارية و لقب بالغازي ، و أقام في انقرة حكومة مستقلة ، و أنفى الخلافة و سلطنة آل عثمان ، و أقام حكومة جمهورية علانية كان أول رئيسها سنة ١٩٢٤ م و استمر إلى ذلك حتى توفي سنة ١٩٣٨ م .

الجديدة - عالماً واسع الثقافة ، أو مفكراً عميق النظر ، إنما كان زعيماً قومياً قوى الإرادة ، و حاكماً قوياً شديد التنفيذ يوجز وصفه مؤرخه الانجائزى الشهير ، فيقول : « فى مواهبه و كفايته كان جندياً ، و فى غريزته كان معلم ثانوية ، و فى اتجاهه كان سياسياً » (١)

و مآثره التاريخية أو بطولته - كقائد و زعيم - مقصورة على « عملية النقل و التحويل » التى قام بها و نجح فيها أكثر من غيره ، يقول المؤرخ السابق ملخصاً دوره «العظيم» الذى مثله فى تاريخ تركيا الأخير .

« انطلق « كمال أتاتورك » يكمل عمل التحطيم الشامل الذى شرع فيه ، و قد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الانقراض التى تحيط بها ، هو حطم فعلاً النسيج السياسى القديم ، و نقل السلطنة إلى (ديمقراطية) و حول الامبراطورية إلى قطر فحسب جعل دولة دينية جمهورية عادية .

إنه طرد السلطان (الخليفة) و قطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، و قد بدأ الآن فى تغيير عقليّة الشعب بأكملها ، و تصوراته القديمة ، عاداته ، لباسه ، أخلاقه ، و تقاليده ، أساليب الحديث ، و مناهج الحياة ، المنزلية التى

(1) H. c . Armstrong Grey Woolf P. 294

تربطه بالماضى ، و بالبيشة الشرقية ، لقد كان ذلك أصعب بكثير من تكوين الجهاز السياسى من جديد ، و كان يشعر بصعوبة هذه العملية فقد قال مرة : « انتصرت على العدو ، و فتحت البلاد هل استطيع أن انتصر على الشعب ؟ » ، (١)

إنه انتصر على الشعب حقاً فقد جعل الدولة علمانية ، ليس الاسلام دينها الرسمى ، و أحدث الفصل بين الدين والسياسة و قرر أن الدين قضية شخصية ، لكل فرد أن يختار له ديناً و يدين به ، من غير أن يكون له دخل فى السياسة ، و الادارة ، و ألغى الخلافة ، و ألغى المحاكم الشرعية ، و قانون الشريعة الاسلامية ، و قرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، والقانون الجنائى الايطالى ، و القانون التجارى الالمانى ، و أدخل الاحوال الشخصية فى القانون المدنى الاوروبى ، و منع التعليم الدينى ، و عطل مراكزه ، و منع الحجاب ، و قرر السفور و التعليم المختلط ، و ألغى الحروف العربية و أبدلها بالحروف اللاتينية ، و منع الاذان بالعربية و جعله بالتركية ، و غير اللباس ، و ألزم لبس القبعة ، و بعبارة مورخه .

« قد حطم الأساس الدينى و غير وجهة نظر الشعب التركى و الحكومة التركية » ، (٢)

(1) Grey Woolf . P 287

(2) P . 190

إن « أتاترك » نجح في إقصاء العنصر الاسلامى و العربى من الحياة التركية ، و لا يدرى أحد هل كان هذا الانتصار موقتا تقضى عليه ثورة الشعب التركى المسلم ، و انتفاضته الايمانية ، أم تطول مدته ، و على كل فقد كان تغييراً شاملاً عميقاً .
تأثير أتاترك فى

العالم الاسلامى : و هكذا كانت تركيا — مع الأسف — طليعة حركة التجديد — و بعبارة أصح التجدد — و طليعة « التغريب » و قدوة الزعماء « التقدميين » فى الدول والحكومات و الأقطار الاسلامية ، و كان كمال أتاتورك رمز التقدم و « الثورة » فى كل بلد نامض ، و فى كل مجتمع متحرر فى العالم الاسلامى ، و المثل الأعلى للقادة و السياسيين و المفكرين المسلمين على اختلاف أجناسهم و بيشأتهم ، و لا نعرف زعيما — على فقره فى النبوغ العقلى و التعمق — من زعماء البلاد الاسلامية أثر فى العقول و النفوس ، و أثار الإعجاب بشخصيته و أعماله و أثار الرغبة فى تقليده و الاحتذاء به ، مثل ما فعل « كمال أتاتورك » فى الزمن الأخير .

و كان السبب الأكبر فى ذلك ما اشتهر أنه أنقذ تركيا من الخطر المحدق بها الآخذ بالخنق ، و أسس حكومة قوية ، و كسب احترام الحكومات الأوروبية و الزعماء السياسيين فى أوروبا ، و كان المسلمون فى الشرق متعطشين إلى القوة السياسية

و المجدد و الاستقلال ، يخضعون بالاجلال لكل من يتسم بذلك
أو يسعى إلى ذلك ، يخضعوا لآتاتورك و دانو له بالحلب العميق
و التقديس المفرط ، و نسوا في تقديسهم ما للشعب التركي المؤمن
الشجاع من سهم و من فضل في هذه الثورة ، و في التمرد على
الأوضاع القاسية ، و الأمم الضارية ، و في بناء هذا الكيان
القومي المتين ، و ردوا الفضل كله في ذلك إلى عبقرية « كمال »
و قيادته الفذة .

و السبب الثاني أن اصلاحاته صادفت رغبة في نفوس
الزعماء القوميين ، و عبرت عما تجيش به نفوسهم من القلق و
الثورة على القديم ، و التحرر من ربة الدين ، و الاتجاه بشعوبهم
إلى الحضارة الغربية ، و مهما كانت الأسباب فإن كمال أتاتورك
قد حل محلا في النفوس لم يشغله زعيم شرقي من زمن طويل .
و كان له تأثيره المتوقع في اتجاه الشعوب و الأمم الاسلامية
و الموقف الذي اتخذته أزاء الحضارة الغربية .

الصراع بين الشرق

و الغرب في الهند : و كان المجال الثاني الذي ظهر فيه
— لعوامل سياسية و ثقافية — الصراع بين الشرق و الغرب واضحا
قويا ، و كان مكلفا باختيار أحد الطريقتين ، الحياة الاسلامية
على أساس العقيدة و الايمان ، و الحياة الغربية على أساس القوة
و التقدم ، هو الهند التي توطدت فيها الحكومة البريطانية ،

الزعيمة للحضارة الغربية في الشرق و زحفت إليها العلوم الحديثة و التنظيمات الجديدة ، و ما تستبعضها من آلات و مصنوعات و آراء و فلسفات ، و كان الشعب الاسلامى الهندى منهوك القوى ، مثخنا بالجراح ، مجروح الكرامة ، تعاني دهشة الفتح و عار الهزيمة ، و جيشاً من النهم و الظنون ، و يواجه فاتحاً ممتلئاً بالقوة و الشباب و الثقة ، و حضارة زاخرة بالجدة و النشاط و الانتاج ، و قضايا كثيرة و مشكلات تطلب الحل السريع الحازم ، و الموقف الواضح الحاسم .

القيادة الدينية

و المدرسة القديمة : في هذه الساعة العصية الدقيقة ، و في هذه الحالة النفسية المحرجة برز في الميدان نوعان من القيادة ، أولهما القيادة الدينية التى يتزعمها علماء الدين ، و القيادة الثانية، يتزعمها سيد أحمد خان و تلاميذه و أنصاره من أهل المدرسة الجديدة .

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الاسلامى شخصية دينية ، و من أكثرهم رسوخاً في الدين ، و زهداً في الدنيا ، و إشاراً للآخرة ، و غيرة على الاسلام و جهاداً في سبيله بالنفس و النفس ، و لكن جوهر الخاص الذى عاشوا فيه ، و ثقافتهم القديمة ، لم تمكنهم من السيطرة على هذه الحضارة الغربية و الثقافة الجديدة و قيادتها إلى ناحية جدية مجدية تعود

على الاسلام و المسلمين بالنفع و القوة .

ثم إن الهمجية التي ظهرت من الحكومة الانجليزية والقسوة النادرة التي عاملت بها المسلمين الذين اعتبرتهم أصحاب الفكرة في الثورة الفاشلة سنة ١٨٥٧ م و قادتها (١) و تحمس الحكام و الولاة الانجليز لنشر المسيحية في طبقات الشعب الهندي ، والسريعة الزائدة التي كانت الحضارة الغربية تنتشر بها في الجمهور وتأثيرها في عقيدة المسلمين و أخلاقهم ، كل ذلك وضعهم في مركز الدفاع عوضاً عن الهجوم ، و جعلهم يفكرون في الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية ، و الروح الاسلامي و مظاهر الحياة الاسلامية و الدعوة إلى التجنب عن هذه الحضارة و الابتعاد عنها ما أمكن ، و جعلهم يفكرون في بناء معادل الحضارة الاسلامية و الثقافة الاسلامية ، و العلوم الشرعية ، و تخرج العلماء و الدعاة و المرشدين من هذه المعادل التي سميت بعد بالمدارس العربية .

و كان على رأس هذه الحركة الإصلاحية و التعليمية المنتجة مولانا محمد قاسم النانوتوي (٢) مؤسس معهد ديوبند الكبير ، و

١ - إقرأ فصل « الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند » في كتابنا « المسلمون في الهند » ص ٨٤ - ٩٤

٢ - هو الشيخ الامام قاسم بن أسد على البكري النانوتوي ولد بنانوته سنة ١٢٤٨ هـ و قرأ على الشيخ مملوك العلي النانوتوي و أخذ الحديث عن الشيخ عبيد الغني بن أبي سعيد الدهلوي و أخذ الطريقة عن العارف الكبير الشيخ إمداد الله العمرى التهانوي و أسهم في ثورة سنة ١٨٥٧ على الحكومة الانكليزية و اضطر إلى الاختفاء مدة من الزمان و تبني فكرة تأسيس مدرسة كبيرة في ديوبند و انقطع إليها و كانت له مراقبة

كان لهذه الحركة وقادتها فضل كبير في تمسك الشعب الهندي الاسلامى بالدين و شريعة الاسلام ، و تفانيه في سبيله ، و التماسك أمام الحضارة الغربية المادية الالحادية تماسكا لم يشاهد في بلد إسلامي آخر تعرف بهذه الحضارة و وقع تحت حكم أجنبي ، و كانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه و المركز الثقافى ، الدينى و التوجيهى الاسلامى الأكبر فى الهند (١)

حركة ندوة العلماء : و كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التى أسسها مولانا محمد على المونكيرى (٢) وقادها الأستاذ شبلى

عظيمة فى مناظرة النصارى والآرية ظهرت فيها براعته و ذكاؤه و إخلاصه و عارض قائد الحركة التعليمية الجديدة السيد احمد خان لأرائه الشاذة و حرية الزائدة فى تفسير القرآن و الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية و قد اعترف السيد احمد خان بتبحره فى العلم و إخلاصه فى المعارضة و زهده فى زخارف الدنيا ، له مؤلفات بديعة أشهرها تقرير داييز ، و حجة الاسلام ، و آب حیات ، توفى إلى رحمة الله سنة ١٢٩٨ هـ . ١ - أنظر فصل « مراكز العلم و الثقافة الاسلامية » فى كتاب « المسلمون فى الهند

ص ٦٤ - ٦٦ .

٢ - هو السيد محمد على بن عبد العلى الحسينى ، ولد فى كانفور فى ٣ شعبان ١٢٦٢ هـ ٢٨ يوليو ١٨٤٦ م ، تخرج فى مدرسة فيض عام كانفور ، و بايع الشيخ العارف فضل رحمن السكجج مراد آبادى و اختص به ، قاوم حركة التهدير فى الهند مقاومة فعالة و ألف و كتب و قام بجولات واسعة فى البلاد و أسس ندوة العلماء فى سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٣ م ، و أنشأ دارالعلوم التابعة لها فى عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م ، و قاوم حركة القاديانية فى بهار ، و بايعة خلق كثير يعدون بالآلاف ، توفى فى ٩ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ هـ و كان من كبار المخاضين و العلماء الربانيين الذين شعروا بتغير الأحوال و الأوضاع فى العالم الاسلامى ، و نهضوا للتجديد فى مناهج التعليم الدينى .

النعماني (٣) و زملاؤه ، و دارالعلوم التابعة لها جديرة باحداث
 قطرة تصل بين الثقافتين الاسلاميه و الغربيه ، و الطبقتين ، علماء
 الدين و المثقفين العصريين ، و إحداث فكر جديد يجمع بين
 محاسن القديم و الجديد ، و بتعبير أصحاب هذه المدرسة الفكرية
 « بين القديم الصالح و الجديد النافع » و « بين التصلب في
 الأصول و الغايات و التوسع و المرونة في الفروع و الآلات » ،
 فكانت — لو قدر الله — خطوة مباركة و فتحاً جديداً يستحق
 التقليد في الأقطار و المجتمعات الاسلاميه التي خاضت في ذلك العهد
 في معركة الصراع بين القديم و الجديد ، و لكن هذه الحركة
 لم تحظ بالتعاون الذي كانت تستحقه من كلتا الطبقتين ، القديمة و
 الجديدة ، لا تساع الفجوة بينهما ، و لوجود التطرف و المغالاة
 فيهما ، و للخلافات التي حدثت في صفوف العاملين لهذه الفكرة ،
 و أخيراً لا آخرأ لعدم وجود طبقة من الأساتذة والموجهين،

٣ - هو الشيخ شبلى بن حبيب الله ولد في سنة ١٢٨٤ هـ في أعظم گڑھ ، و درس
 زماناً في كلية على گڑھ ، و صحب السيد أحمد خان مؤسس الكلية و أنكر بعض
 اتجاهاته المتطرفة و فارق الكلية و زار تركيا و مصر و سوريا ، و أقام في حيدرآباد
 خمسين سنين ، مديراً لظفارة العلوم و الفنون ، و أسهم في حركة ندوة العلماء و كان
 عضواً نشيطاً و الماشراف التعليمي لمدة ثمانية أعوام ، ثم استقال و أسس المجمع العلمي
 المعروف بدارالمصنفين ، في أعظم گڑھ و ألف في التاريخ الاسلامي كتباً مهمة ، و كانت
 له مكانة مرموقة في الشعر و الأدب و التاريخ ، و من مصنفاته المشهورة ، سيرة المأمون
 و سيرة النعمان ، و كتاب الجزية في الاسلام ، و حقوق الذميين ، و الفاروق و شعر
 العجم و غير ذلك ، توفي ١٣٢٢ هـ ببلدة أعظم گڑھ .

الذين قد تبحروا في الثقافتين ، و قد أحسنوا هضمهما ، و كونوا من هذه المواد — التي قد تبدو متناقضة — رحيقاً صافياً شهياً نافعاً ، كما تعمل النحل من الأزهار و الأشجار ، و يبق معظم الشعب يتأرجح بين طبقتين ، طبقة ترى العدول عن القديم و نظمه التعليمية و الانحراف عنها قيد شعرة ضرباً من التحريف أو نوعاً من البدع ، و طبقة تقدر كل ما جاء من الغرب و تبرئه من كل عيب و نقص ، و تعتقد بأصحابه العظيمة و العبقريّة ، في جميع الآراء و المذاهب الفكرية .

قيادة السيد أحمد خان

و مدرسته الفكرية : أما القيادة الثانية التي تزعمها سيد أحمد خان فقد قام على أساس تقليد الحضارة الغربية ، و أسسها المادية و اقتباس العلوم العصرية بحذافيرها و على علاتها ، و تفسير الاسلام و القرآن تفسيراً يطابقان به ما وصلت إليه المدنية و المعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر المسيحي (١) و يطابقان هوى الغربيين و آرائهم ، و قبلهما أذواقهم ، و استهانة بما لا يشتهه الحس و التجربة ، و لا تقرره علوم الطبيعة في بادي النظر ، من الحقائق الغيبية ، و أمور الطبيعة (٢)

١ - و كان كما لا يخفى دوراً لم تبلغ فيه العلوم الطبيعية نهايتها و اكتمالها ، و كانت لا تزال في دور الطفولة و النشوء و الارتقاء .

٢ - إقرأ للتفصيل و فهم أسلوب التفكير الذي اتبعه سر سيد أحمد خان في آرائه الدينية و مناهجه الكلامية ، كتاب — Religious Thought of —

شاهد السيد أحمد خان (١) انهيار الحكومة الاسلامية المغولية التي كانت صورة مصغرة شاحبة للامبراطورية الاسلامية و رأى لإخفاق الثورة الكبرى في سنة ١٨٥٧ م ، و اطلع على أسباب هذا الاخفاق الذريع و انهزام مجموعة كبيرة ضخمة من أهل البلاد أمام حفنة من الأجانب الغرباء ، و رأى ما دفع المسلمون من قيمة هذه الثورة التي رسموا خطتها و تولوا كبرها ، و رأى هوان الشعب الكبير الذي كان صاحب الأمر و النهى في البلاد ، و شقاء الأسر و السيوتات الكبيرة ، و رأى سطوة

— Syed Ahmad Khan.

(Bashir Ahmad Dar M. A.)

لمؤلفه بشير أحمد دار

Institvite of Islamic Culture, LAHORE.

من مطبوعات مجمع الثقافة الاسلامية .

١ - هو السيد أحمد بن المتقي بن الهادي الحسيني الدهلوي ، ولد في سنة ١٢٢٢ هـ ١٨١٧ م و قرأ المتوسطات في العلوم العربية ، و عني بالهيئة و الهندسة و الاقليدس خاصة ، و تولى الوظائف و القضاء في الحكومة الانجليزية ، و ألف كتباً ذات قيمة علمية في التاريخ ، و تولى تصحيح بعض الآثار العلمية و المؤلفات القديمة ، و أشرف على ضبطها و نشرها ، و كان من انصار الحكومة الانجليزية و ممن سعى في إخماد ثورة ١٨٥٧ م و توطيد الحكم الانجليزي و إزالة سوء التفاهم و الوحشة بين الشعب و الحكومة و كائناته الحكومة على ذلك براتب شهري ، و أنشأ مجعاً علمياً للترجمة و التأليف و النشر ، و أصدر مجلة « تهذيب الأخلاق » ، و سافر إلى أوروبا سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) و ألف هناك كتابه المشهور الخطبات الاحمدية في العرب و السيرة المحمدية في الرد على السير وليم ميرر ، و النفاذ عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، و أنشأ سنة ١٨٧٥ م كلية اسلامية انجليزية ، و هي التي تسمى الآن جامعه عليكره الاسلامية و توفي سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م .

الانجليز تقوم على هذه الانقاض ، و أهمة ملكهم ، و طلائع
مدنيتهم الخلافة ، و آياتها الباهرة ، و اتصل بالانجليز اتصالاً
وثيقاً عن طريق الوظيفة و الزمالة ، و عن طريق الصداقة و
التعارف ، فأعجب بذكائهم و كفاءتهم و مدنيتهم ، و كان رجال
مرهف الحس ، حاد الذهن ، قوى العاطفة عصبياً ، سريع الانفعال
و القبول ، مشاركاً في الثقافة الدينية غير راسخ فيها ، و لامتقن
لها ، جريئاً في إبداء الرأي فتأثر بالانجليز ، تأثر المغلوب بالغالب ،
و الضعيف بالقوى ، و قلد حضارتهم ، و أساليب حياتهم شخصياً
و صار يدعو إلى هذا التقليد في حماسة و قوة ، و يرى أن
هذا التقليد و الظهور في مظهر سيد البلاد و مجاراته في الحياة و
العادات تزيل الهيبة من قلوب المسلمين ، و تعالج « مركب
النقص » فيهم ، و ترفع مكانتهم في عيون الولاة ، و رجال
الحكومة و تضعهم في مكان الزملاء ، الشركاء في الحياة ، الأقران
في الاجتماع ، يدل على هذه الفكرة دلالة واضحة ما جاء في
بعض مقالاته ، يقول :

« لابد أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة ،
(الغربية) بكاملها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها ،
و يعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة » (١) .
و قام السيد أحمد خان برحلة إنجلترا في أول أبريل ١٨٦٩ م

١ - مجلة « تهذيب الاخلاق » مقالات السيد أحمد خان ج ٢ ص ١ .

فكان أول مسلم هندي سافر إلى الجزائر البريطانية ، في هذا العهد المبكر ، و قد كانت قناة السويس في دور الإنشاء (١) و قد قابل صاحب فكرتها و الإشراف عليها المهندس الفرنسي الشهير الموسيو فردينان دى ليسبس (Ferdinand De Lesseps) الذى كان مسافراً في نفس السفينة .

و كان السيد أحمد خان موضع حفاوة نادرة في لندن ، و قد مكث فيها سبعة عشر شهراً ، كان فيها ضيفاً مجلاً و زائراً كريماً ، و صديقاً عزيزاً ، في الأوساط الانجليزية المحترمة ، و حضر المآدب الملكية الفخمة و الولائم . الارستقراطية ، التى تمثل الحضارة الأوربية في أروع مظاهرها ، و أخلاق الطبقة الحاكمة ، و طبقة الإشراف ، و نال الوسام الملكى و لقب الشرف ، و قابل الملكة ، و ولى العهد و الوزراء الكبار ، و اختير عضواً فخرياً في جمعيات عليية ذات الشرف الكبير ، و حضر حفلة نادى المهندسين الكبار و اطلع على المشاريع و الخطط التقدمية التى مرت بها البلاد في الزمن القريب ، و التى أحدثت ثورة و انقلاباً في الأوضاع ، و في مستوى البلاد ، و مكنتها من بسط نفوذها و سيطرتها الفكرية و السياسية .

١ - و في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ (أثناء وجود السيد أحمد خان في لندن)

فتحت التربة لمرور المراكب و جرى ذلك باحتفال عظيم لم يكده يسمع بمثله و ما رجع السيد أحمد خان إلى بلاده إلا و المشروع العظيم قد تم و التربة مفتوحة للسفن .

رأى السيد أحمد خان فرنسا و إنجلترا و هما فى أوج
 مدنيتهما ، و فى ريعان الصناعة الحديثة ، و العلم الجديد ، و رأى
 المجتمع الانجليزى فى عصر لم يتسرب إليه الوهن ، و لم يعتره
 الضعف الذى أصيب به بعد الحرب الأولى ، و رأى الحيوية
 تدفق منه ، و الطموح إلى غزو العالم و إخضاعه يملك زمامه ،
 و قد شغل بمشاهدة جانبه المشرق الوضاء عن مشاهدة جانبه الضعيف
 الأسود ، و هو الجانب الخلقى و الروحى ، و جانب الاستعمار
 الغاشم ، و الاجرام العالمى و الأثرة القومية ، و القسوة على
 غير الانجليزى — التى رأى مظاهرها فى الهند — فأعجب بهذه
 الحضارة و المجتمع الذى يمثلها إعجاباً ملك عليه النفس و الفكر ،
 و ملاء جميع جوانحه و جوانب تفكيره ، و رجع إلى البلاد فى
 ٢ من اكتوبر سنة ١٨٧٠ م داعية متحمساً إلى تقايد الحضارة
 الغربية ، و إصلاح المجتمع الاسلامى الهندى على أساس تقليد
 المجتمع الأوروبى و مبادئه و قيمه ، و تبنى هذه الدعوة بكل
 إخلاص و بكل حماسة ، و وهب لها مواهبه كلها ، و أصبحت
 نظريته مادية ، بحتة تخضع للقوى الطبيعية ، و السنن الكونية — كما
 يفهمها — خضوعاً زائداً ، و يخضع لها عقيدته و يؤول على
 أساسه القرآن تأويلاً يبلغ به حد التحريف و الغيب بأصول العربية
 و اللغة ، و النحو و التواتر و الاجماع ، فصار يفسر القرآن

تفسيراً (١) يخرق فيه الاجماع ، و ينقض به اللغة ، و يثير العجب و الإنكار في الأوساط الدينية ، و العلمية ، و قد أصاب الدكتور محمد البهى في نقد هذا الاتجاه إذ يقول في كتابه « الفكر الاسلامى الحديث »

« فحركة السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعى و الحضارة الغربية المادية ، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى « العلم » (Sceince) و بالمركبات الحضارية التى قامت عليه ، و الافتتان بالعلم الطبيعى أو بالطبيعة كما يقال يؤدى إلى خفة وزن القيم الروحية و المثالية و هى القيم التى تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التى يمثلها الاسلام أوضح تمثيل ، و قد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعى إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد في الطبيعة ، و يدرك بالحس الانسانى ، و من هنا ربط السيد جمال الدين الأفغانى بين إلحاد السيد أحمد خان و مذهبه الدهرى أو الطبيعى مع بقاء انتسابه إلى الاسلام ، و نعتة بالالحد رغم ما كان يكرره من القول من أنه يدافع عن الاسلام . و أنه ينبغي أن يوجد طريقاً للسلم المعاصر يوفق فيه بين اسلامه و تقبله الحياة العصرية التى قامت على إثر نهضة العلم الطبيعى » (٢)

١ - سماء ، تفسير القرآن و هو الهدى و الفرقان ، كتبه في اردو في ستة مجلدات ، و قد وصل فيه إلى تفسير سورة النحل . ٢ - ص ١٥ - ١٦

و قد كان هذا الاتجاه المادى المتطرف و الاسراف فى
تمجيد العقل و المبالغة فى سلطانه و حدوده ، و إخضاع إرادة
الله و قدرته و كتابه لقوانين الطبيعة و قوانين هذا العالم ، و
الجرأة على التفسير و تأويل معانى القرآن ، تأويلاً جريئاً قد
فتح باباً واسعاً للفتنة و التحريف و الالحاد فى آيات الله و الفوضى
فى الدين و العقيدة التى انتشرت فى العصر الأخير (١)

جوانب الضعف فى

فكرة السيد أحمد خان : اتسمت خطة السيد أحمد خان التعليمية
بسمتين تقاصرت بسببهما عن أن تكون الثورة المنشودة التى تشد
إليها حاجة العالم الاسلامى ، و عملاً ايجابياً بناءً يلائم وضع هذا
المجتمع القائم على أساس العقيدة و الايمان ، و الرسالة المحمدية ،
و يملأ الفراغ المائل الواقع فى العالم فى الاسلامى كله .

أولاً أنه لم يفكر فى إخضاع هذا النظام التعليمى الذى أخذ
شكله النهائى فى البيئة الغربية ، لطبيعة هذا المجتمع الاسلامى الهندى
الذى كان يريد تطبيقه فيه ، و حاجاته و أوضاعه ، و لم يفكر

١ - قد يفهم القارى من كتاب « الفكر الاسلامى الحديث » للذكور محمد البهى
(ص ١٧) أن المذهب القاديانى انبثق من الحركة التجديدية الدينية التى قام بها السيد
أحمد خان و ليس الأمر كذلك فان السيد أحمد أنكر على مؤسس القاديانية ادعاء
النبوّة و عارضه ، إن قصارى الأمر أن الجو الذى هبأه السيد أحمد أحمد خان قد ساعد فى
انتشار هذا المذهب و قول آراء صاحبه المتطرفة و قد كان خليفة القاديانى و عقله الأول
نور الدين الحكيم من كبار المعجبين بمدرسة السيد أحمد خان فى التفسير و التأويل .

في سبكه سبكا جديداً اسلامياً هندياً ، و لم يفصله عن الحضارة الغربية و روحها المادية التي لا لزوم لها في بلد اسلامي شرقي بل انه استورد هذا النظام من الغرب بتفاصيله و خصائصه و روحه و طبيعته ، و مع الحضارة التي تكتنفه ، و ألح على كلا الجزئين - المنهاج التعليمي ، و الحضارة الغربية - إلحاحاً شديداً بل شرط - في قانون الكلية - أن يكون العميد دائماً انجليزياً و أستاذان - على الأقل - من الانجليز ، و مدير الثانوية من الانجليز ، و يزداد في هذا العدد كلما اتسعت له ميزانية الكلية (١) . و هكذا كان فلم يزل أربعة أو خمسة من الأساتذة الكبار من الانجليز يتولون التدريس في أقسام مختلفة و يشرفون عليها ، و كان لهم تأثير شديد عميق في نظام الكلية ، و أخلاق الطلبة حتى استطاعوا - بنفوذهم - أن يلعبوا دوراً مهماً في سياسة البلاد ، و قد كان عميد الكلية المستر ثيودربك - الداهية الانجليزى - صاحب التوجيه الأول في السياسة الاسلامية الهندية، و قيادة الرأي ، و قد كان لهذا التوجيه عواقب و خيمة في السياسة ، و اتجاه المسلمين السياسى (٢) .

و هكذا اقترنت دعوة السيد أحمد خان التعليمية بالدعوة إلى الحضارة الغربية من غير لزوم و حاجة إلى ذلك ، فحامت

١ - حياة جاويد (سيرة سيد احمد خان) لصديقه الأستاذ أظاف حسين حالى ص ٢٨٢

٢ - اقرأ فصل : الدور الذى قام به المسلمون في تحرير الهند ، في كتاب : المسلمون

في الهند ، للمؤلف .

حولها الشبهات و اكتفتها أجواء من السخط و الاستياء ، و
أثارت انكاراً شديداً فى الأوساط الدينية ، و رافقتها — منذ
نشوءها — دعوة إلى مقاطعة هذه الحركة و الابتعاد عنها ، خلقت
مشكلات كثيرة فى سبيلها ، و عارضها علماء الدين الذين لم يكونوا
يعارضون تدريس اللغة الانجليزية و العلوم المفيدة ، لما اقترن
بها و رافقها من أول يومها ، من الخضوع للحضارة الغربية
و قيمها ، و التأثير فى الأخلاق و العقائد ، و بسبب سيطرة
الاساتذة و رجال الادارة الانجليز و نفوذهم فى هذه المؤسسة
الوليدة ، و فى عقول الشباب المسلمين — الذين ينتمون إلى أكرم
الأسر الاسلامية و أذكاهما — و فى أخلاقهم . و قد نشأ —
بفعل هذه المؤثرات و بتأثير الجو الغربى الذى يسود فى هذا
المعهد — جيل مثقف اسلامى الاسم غربى التفكير ، إنجليزى
الطراز ، مضطرب العقيدة ، يعيش فى عزلة عن المجتمع بعيداً عن
أحاسيسه و مشاعره ، مختلفاً عنه فى مستوى المعيشة ، و يخلق
مشكلة جديدة فى البيوتات و فى المجتمع الاسلامى ، و لا ينسجم
معه انسجاماً كلياً .

و السمة الثانية أنه تمسك فى هذا النظام التعليمى بتعليم
اللغة و الآداب فقط ، و لم يعن بتعليم الفنون و العلوم التطبيقية
العملية العناية التى تستحقها مع أنها هى ثمرة العلم الجديد الياقة ،
و سر قوة الأمم الغربية و سيادتها ، و هى التى يجب أن

تستفاد من الغرب و يحرص على دراستها و البراعة فيها ، بل أنه — سبحانه الله — عارض في بعض الأحيان تعليم الصنائع و العلوم معارضة شديدة ، و كتب في هذا الموضوع مقالات شديدة اللهجة ، مريرة النقد ، آخرها المقال الذي نشرته مجلة « عليكره كزت » (Aligarh Gazette) في عددها الصادر يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٩٨ م يقول فيه : « إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنة ليست في حاجة إلى تعليم الصنائع ، إن الأهم المقدم هو الثقافة الفكرية من المستوى الأعلى التي لم تتحقق أو لم تكمل بعد » و قد تخوف السيد أحمد خان بما كان يقرأ لكبار الانجليز من الحث على دراسة العلوم الصناعية أن الانجليز يريدون وقف التعليم العالي أو تعليم الآداب الغربية ، فكان يحارب هذه الفكرة بكل قوته و بلاغته ، و قد ألقى محاضرة طويلة في حفلة مؤتمر التعليم الاسلامي الخامسة في هذا الموضوع ، و عارض أن يكون مشروع تعليم العلوم الصناعية على حساب تعليم الآداب الانجليزية و الدراسات الأدبية ، و قد عرض هذا المشروع مراراً و بحث فيه في لجان جامعة إله آباد ، و كان السيد أحمد خان من كبار خصومه و معارضيه (١) .

و كانت نتيجة ذلك أن الجامعة الاسلامية اتجهت اتجاهاً علياً أدبياً محضاً ، و سيطرت عليه نزعة التقليد و التطور ، و

١ - حياة جاوید ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

نزعة التوسع في الآداب و خرجت عدداً لا يستهان به من الخطباء و الأدباء و الإداريين و القضاة و الموظفين الكبار ، و لم تخرج — بطبيعة الحال — رجالاً مبرزين و مبتكرين في علوم الهندسة و الميكانيكا ، و الطبيعة و الكيمياء و الصناعات المفيدة ، العلوم التي كان الشعب الاسلامي الهندي في فقر شديد فيها ، و كان ذلك من أسباب تخلفه و اقتصاره على الوظائف الحكومية و المراكز الإدارية المحدودة دائماً .

محصول هذه

الحركة و اتاجها : و على كل فقد آتت هذه الدعوة التعليمية — التي تزعمها السيد أحمد خان بقوة و إخلاص — ثمراتها ، و ملأت الفراغ الثقافي و الاقتصادي الواقع في المجتمع الاسلامي الهندي ، بعد استقرار الحكم الانجليزي في الهند ، و عاجل — إلى مدى محدود — القلق و اليأس المسيطرين على نفوسهم ، و تخرج في هذه الجامعة بعض خيرة الشباب و قادة الفكر ، و الزعماء السياسيين و أدباء كبار ، و شخصيات قوية قادت حركة « الخلافة » ، (١) و حركة التحرير في الهند و ساهمت في قيام دولة باكستان و إدارتها بعد ، و لكنها — على ما لها من فضل في ثقافة المسلمين الجديدة و في حالتهم الاقتصادية — لم تحقق

١ - هي حركة تأييد الحكومة الثنائية في قضاياها الاسلامية و معارضة الحلفاء و

كانت من اقوى حركات الهند الاسلامية السياسية .

الغرض المطلوب من الاستفادة بتجارب الغرب و تسكييفها للمجتمع الاسلامى و ظروفه ، و لم تملأ الفراغ الواقع الهائل ، فراغ الجيل الاسلامى الجديد ، الراسخ فى عقيدته ، القوى فى إيمانه ، العارف لرسائله و دوره فى قيادة المدنية ، الواسع فى ثقافته ، المرن فى تفكيره ، الآخذ من الثقافة الجديدة محاسنها و لبائها ، المتجنب عن شرورها و فشوئها ، الإصيل فى إنتاجه ، الجيل المرتقب الذى كان يتطلع إليه العالم الاسلامى — و لا يزال — فى لهف شديد و صبر نافذ ، الجيل الذى كان يستطيع بتوفيق الله تعالى أن ينقذ العالم الاسلامى من الحيرة التى كان يتورط فيها ، و من الضعف الذى قد تسلط عليه ، و يمنحه مركزاً رئيسياً فى قيادة الأمم ، و توجيه المدنية .

أكبر الاله آبادى

الشاعر الشاعر : وقد حارب هذه النزعة التطبيقية التقليدية - التى يقودها السيد أحمد خان - حرباً لاهوادة فيها معاصر مثقف ثقافة قديمة و جديدة ، يعتبر من أكبر شعراء عصره ، و هو السيد أكبر حسين (١) الاله آبادى ، المتقلب فى شعره بـ « أكبر »

١ - هو السيد أكبر حسين بن تفضل حسين ، ولد فى سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) فى مديرية اله آباد و تلقى الثقافة الاسلامية و درس اللغة الانجليزية ، و اجتاز فى سنة ١٢٨٤ هـ امتحاناً فى الحقوق ، و تولى القضاء ، و تنقل فى الوظائف القضائية ، إلى أن أحيل إلى المعاش سنة ١٣٢٠ (١٩٠٣ م) و لقبته الحكومة الانجليزية بلقب « خان بهادر » (يساوى بك فى المجتمع المصرى) و لقبه الشعب الهندى بلقب « لسان العصر » ، فلقب لقب —

و استخدم لنقدها و الانكار على هذا الجيل المثقف الجديد أسلوب
 الفكاهة الخلو ، و الادب الخفيف الروح من أبلغ الأساليب
 الأدبية و اقواها ، و أجمالها في هذا العصر و جعل ذلك موضوع
 شعره طول حياته ، ينتقد سياسة السيد أحمد خان - الذي يعترف
 باخلاصه - التعليمية و ما كان يدعو إليه من تقليد الغرب و
 تطبيق مناهج حياته ، و ينتقد الحياة السائدة في الكلية الاسلامية ،
 و ما تتسم به من تقليد أعمى للغرب ، و تساهل في العقيدة ،
 و رقة في الدين ، و تبذير في الأموال ، و تألق في المظاهر ، و
 نفور عن الدين و رجاله ، و نهامة للحياة ، و تهالك على
 الوظائف الرسمية ، و تخل عن التراث الشرقى القديم ، و عن
 تقاليد و مبادئه ، و ثورة عليها ، و اندماج في المجتمع الغربى
 الغرب ، و سيطرة التفكير المادى الاقتصادى المحض ، و يصور
 — بشاعريته الساحرة و ريشته البارعة — الجيل الجديد ، تصويراً
 دقيقاً ، واضح القسمات و الملامح .

— الشعب لقب الدولة الرسمى .

وكان — رغم ثقافته الحديثة العميقة — ديناً محافظاً سليم العقيدة ، قال في الليلة
 التى توفى فيها ، « ما فاتنى فريضة ، و لا غفلت عن حزبى فى الليل ، و لا انصرف
 عن تلاوة القرآن طول عمرى » توفى رحمه الله سنة ١٣٤٠ - ١٩٢١ م ، و من آثاره
 ثلاثة دواوين شعرية ضخام تلقفتها الأوساط الأدبية و الاسلامية بالقبول و الاستحسان ،
 و شهد له كبار الأدباء و الشعراء — منهم العلامة محمد إقبال — بالاجادة ، و إنه إمام
 فى الشعر الفكاهى الإصلاحى فى اردو .

وقد انتشر هذا الشعر في الأوساط الهندية على اختلاف طبقاتها و اتجاهاتها انتشاراً عجيباً ، و تلقفه الأدبا و الكتاب و الشباب و رددوه ترديداً لم يعرف لشعر آخر منذ زمن طويل ، و على نجاح هذا الشعر و تأثيره في تحريك عاطفة الكراهة و الازدراء و التخفيف من غلواء هذه النزعة التقليدية و قيمة هذه الحضارة ، لم يستطع بطبيعة الحال أن يحدث ثورة في المجتمع و يقف تيار التقليد الجارف ، و يؤسس مجتمعا جديداً لأن الأدب المؤسس على التهكم و التنادر تأثيره و أجله محدودان ، و لكنه لم يخل من الفائدة ، و كان من عوامل الاتجاهات الأدبية الاجتماعية الجديدة في الهند (١) .

الحركة الوطنية و مقاطعة

البضائع الاجنبية : كان هذا الاتجاه التقليدي في الهند — الذي قاده السيد أحمد خان في المسلمين و غذته الحكومة الانجليزية و نظام المعارف — في الطبقة المثقفة ، حراً في سيره لا يعوقه شئ ، و لا يخفف من حدته إلا هدوء الطبيعة الهندية ، و اعتدالها في قبول كل جديد ، و تمسكها بالقديم و بالبساطة ، إلا أنه كان جديراً كل الجدارة بأن يكون الاتجاه العام السائد على البلاد على مر الأيام ، و يجعل من الهند الشرقية مجتمعاً غريباً

١ - للؤلف مقالة مسهبه نشرت في مجلة الفتح المصرية ، مجلد العام التاسع ١٣٥٤ هـ ، عدد ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، و مجلة « الضياء » الصادرة من لكةنو الهند .

في تفكيره و أساليب حياته ، و في حضارته و إجتماعه ، و لكن حادثا حال دون ذلك ، و غير اتجاه التاريخ .

حدث ما يضعف سلطان الحكومة الانجليزية — التي تزعم هذه الحضارة في الهند — في النفوس و العقول ، و يثير الشك في قيمة هذه الحضارة و جدارتها للقيادة و استعدادها للانصاف و تحقيق العدالة الاجتماعية ، و ما يثير السخط الشديد و الكراهة العميقة لزعماء هذه الحضارة و تمثيلها في الشرق ، و ما يحرك الشعور القوي بالشخصية و بالكرامة في أهل البلاد ، و يحمل على مقاطعة هذه الحكومة و كل ما يعزى إليها من حضارة و مظاهر و شعائر ، و كل ما يعمون حركتها التجارية و الاقتصادية و يغذيها ، ذلك نشوب الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ م) و وقوف الحكومة البريطانية - مع حلفائها - الموقف لعادي من الدولة العثمانية التي ينظر إليها المسلمون في الهند — كغيرهم في البلاد الاسلامية — كرمز للجدد الاسلامي ، و موئل للخلافة ، و حامية للاسلام ، و لما تمت الهزيمة للاتراك في ١٩١٨ م ، و استولى الانجليز على الآستانة ، و توزع الحلفاء ممتلكات الدولة العثمانية انفجر بركان الثورة في الهند ، و تعاون المسلمون و الهندوس في حركة الخلافة بشكل عام ، و كان غاندي — الزعيم الهندي الشهير — في جبهة القيادة مع زملائه محمد علي و شوكت علي و أبي الكلام آزاد و اقترحوا سنة ١٩٢٠ م مقاطعة الحكومة

و الاضراب عن التعاون معها ، في إدارة الحكومة و جميع مجالات الحياة و مقاطعة البضائع الأجنبية ، فكان أمضى سلاح سلبى استخدمته حركة وطنية ، و انطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد ، تحمل معها الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية و التخلي عن مظاهر الحضارة الأجنبية المستعمرة ، و الظهور في المظهر الوطنى الشعبى ، و التمسك بالبساطة و التقشف في الحياة ، و الاقتصاد على المنتجات الوطنية ، و كانت أعظم و أعنف حركة شاهدها البلاد ، و كانت البلاد كلها — من أقصى حدودها إلى أقصى حدودها — شعلة نار ، و قد هزت سيطرة الحضارة الغربية في أعماق النفوس ، و اقتلعت جذورها و عروقا من قلوب لا يحصيها كثرة إلا الله ، و أشعل الناس النيران في ملابسهم الغربية ، و القماش الوارد من الخارج — من إنجلترا طبعاً — في جموع حاشدة ، و حفلات كبيرة ، و رفض كبار الأغنياء و المثقفين ، و رجال الطبقة الارستقراطية ، عيشتهم الغربية الباذخة ، و تقشفوا و آثروا الحياة البسيطة الوطنية ، و حدث انقلاب عظيم في حياة الكثيرين ، من كبار المحامين و التجار و الموسرين ، فقد ملأوا السجون ، و تحملوا المشاق ، و بدأ منهم من الايثار ، و الزهد و القناعة ، و قوة العاطفة الدينية ، و الوطنية و المواساة للفقراء و المحافظة على الشعائر الدينية ، ما لم يكن يتوقع من أمثالهم قبل ظهور هذه الحركة .

و تلت هذه الحركة التي كان طابعها دينيا ، الحركة الوطنية الهندية العامة ، التي ترمى إلى تحرير البلاد ، و طرد الاستعمار ، و إقامة الحكم الذاتى ، و كانت — بخلاف كثير من الحركات السياسية فى الشرق — حركة سياسية اجتماعية ذات فلسفة فكرية واقتصادية، فلبت دورها فى إضعاف سلطان هذه الحضارة التي جاءت مع المستعمر فى تدعيم الشعور الوطنى ، و اىثار كل ما هو أصيل و عريق فى طبيعته الهندية و يئته الوطنية ، على المستورد الأجنبى، و لاشك أن هذه الحركات السياسية استطاعت أن تفعل — من محاربة مركب النقص ، و من إثارة الاعتداد بالكرامة والتخلص من الاستعمار الفكرى و الثقافى — ما لا تستطيعه الفلسفات العلمية الكبيرة ، و ذلك شأن الحركات العملية الشعبية ، التي تتغلغل فى أجزاء المجتمع و تسيطر على تفكيره دائما فى كل بلد .

محمد إقبال و نقده

للحضارة الغربية : و قد بدأ الشباب الاسلامى الذكى فى فجر القرن العشرين يتوسعون فى الدراسات الغربية ، و يتعمقون فيها فى الجامعات الهندية الراقية ، و قد زالت عنهم دهشة الفتح و هية الانجليز ، و بدأت بعثات ثقافية ترحل إلى أوروبا ، و يقيم عدد كبير منهم فى عواصمها إقامة طويلة ، ينهلون من مناهلها الثقافية ، و يدرسون العلوم العصرية بدقة و إتقان ، تحت إشراف أساتذة كبار أحرار ، و يعرفون الحضارة الغربية عن كثر لا عن

كتب ، بل يخوضون فيها ، و يسهبون غورها ، و يعجمون عودها كأي شباب غربي مثقف من أبناء البلد ، و يدرسون الفلسفات و النظم و المدارس الفكرية ، و يطلعون على دخالها و أسرارها ، و على الطبيعة الغريبة المادية ، و النخوة القومية الأوربية ، و الأثر الشعبي في نفوس هذه الشعوب ، و يرون جوانب الضعف و بؤس الافلاس و طلائع الانهيار في المجتمع الغربي ، و يلاحظون العناصر الصالحة البناء ، المسعدة للبشرية ، المفقودة في تركيب هذه الحضارة ، و في طبيعة زعمائها و حملة لوائها ، و عناصر الفساد الهدامة المدمرة للدين ، المضلة للبشرية الموجدودة في عيونها ، المركبة مع طينها من اليوم الأول ، فيثير كل ذلك في نفوسهم و عقولهم معاني و أحاسيس لم تكن ممكنة إلا مع الإقامة الطويلة في أوربا ، و التعمق في فلسفتها وأفكارها والدراسة المقارنة ، و إلا مع النظر العميق الجري ، و التحرر من ربة التقليد ، و إلا مع الايمان الذي لم يتجردوا عنه ، بل بقي جرة في رماذ مستعدة للالتهاب في كل وقت ، فيرجع كثير منهم يائساً من مستقبل الحضارة الغربية ثائراً عليها ، ناقداً نقداً جريئاً عميقاً متزنأ ، لا تطرف فيه و لا انكار للواقع و لا مكابرة في الحقائق .

لقد كان في مقدمة هؤلاء الناقدين الشائرين محمد إقبال (١)

١ - ولد محمد إقبال بن نور محمد في سيالكوت ، مدينة في مقاطعة بنجاب سنة ١٨٧٧ م و انضم إلى كلية الحكومة في لاهور حيث حضر الامتحان الأخير في الفلسفة —

الذى يعتبر بحق انبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة التى ظالت تشغل
و تنتج فى العالم الإسلامى من قرن كامل ، و أعق مفكر
أوجده الشرق فى عصرنا الحاضر ، و لم نر من نوابغ الشرق و
أذكيائه - على كثرة من أم الغرب منهم و درس هناك -
أحدأ نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق و انتقدها هذا
الاتقاء الجرى .

إن محمد إقبال قد لاحظ جوانب الضعف الأساسية فى هذه
الحضارة و تركيبها ، و الفساد الذى عجنت به طيتها لاتجاهها

- و أخذ درجة ماجستير (M. A.) فى الفلسفة بامتياز ، و عين استاذاً للفلسفة و
الانجليزية فى نفس الكلية ، و سافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة كبرج
و أخذ شهادة عالية فى الفلسفة و علم الاقتصاد و سافر إلى ألمانيا و أخذ من جامعة
ميونخ الدكتوراة فى الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، و حضر الامتحان النهائى فى الحقوق
و انتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد و السياسة فى لندن و تخصص فى المادتين ، و ألقى
عدة محاضرات فى مدراس ، و أخرى فى جامعة كبرج ، و قد اعتنى بهذه المحاضرات
المستشرقون و علماء الفلسفة و الدين اهتماماً عظيماً ، و ترجم أكثر كتبه إلى الانكليزية
و الفرنسية و الألمانية و الطليانية و الروسية ، و انتخب رئيساً للرابطة الاسلاميه سنة
١٩٣٠م و انتخب عضواً فى المجلس التشريعى فى بنجاب ، و عرض فى خطبته نهكرة
باكستان لأول مرة ، و مثل مؤتمر المسلمين ، فى مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣١
- ١٩٣٢ ، و أقامت له جامعة أرسطو ، جامعة روما ، جامعة السوربون ، و جامعة
مجريط و المجمع الملكى فى روما حفلات تكريم ، توفى فى ٢١ ابريل سنة ١٩٣٨ و
شيعت جنازته فى حشد كبير قلما شهد مثله ، و رثاه و أبنته كبار الزعماء و قادة
الفكر ، و رؤساء الحكومات ، له سبعة دواوين فى الفارسية ، و ثلاثة فى اردو ، و
و محاضرات فى الانجليزية .

المادى ، و ثورة أصحابها على الديانات ، و القيم الخلقية و الروحية عند نهضتها ، و علل فساد القلب و الفكر الذى اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة (١) ، و قد جردها تلوث الروح عن الضمير الطاهر ، و الفكر السامى و الذوق السليم ، و تسلط عليها — رغم المدنية الباذخة ، و الحكومات الواسعة ، و التجارة الرابحة — القلق الدائم ، لقد أظلم الجو فى عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ، ولكن يئسها — على كثرة أنوارها — غير متهياة لفتح جديد فى الفكر و إشراق من عالم الغيب ، إنها حضارة شابة — بجدائة سننها ، و الحيوية الكامنة فيها — و لكنها محتضرة تعاني سكرات الموت ، و إن لم تمت حتف أنفها فستتحر و تقتل نفسها بخنجرها ، و لا غرابة فى ذلك فان كل و كر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، و لا يستغرب أن يرث تراثها الدينى و يدير كنائسها اليهود (٢) ، إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، و جذرائها من زجاج لا تحتمل صدمة (٣) ، ان الفكر المارد الذى أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بجموحه يهدد وكر الغربيين و مهدهم ، إن العصر يتنفض عن عالم جديد ، و

١ - ضرب كليم ص ٦٩ .

٢ - أيضاً ص ١٤١ يشير إلى نفوذهم الزائد وثقة أوروبا النصرانية بهم .

٣ - بال جبريل .

ان العالم القديم الذى حوله الغريون مكان القمار (الذى كان يقامر فيه بأمن العالم و كرامة الأمم) يلفظ نفسه ، إن نور هذه الحضارة باهر ، و شعلة حياتها ملتهبة وهاجة ، و لكن لم يكن فى ربوعها من يمثل دور موسى فيتلقى الالهام ، و يتشرف بالكلام ، و لا من يمثل دور إبراهيم فيحطم الأصنام و يحول النار إلى برد و سلام (١) ، إن عقلها الجرئى يغير على ثروة الحب و ينمو على حساب العاطفة (٢) ، إن عماليقها و ثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون - حتى فى ابتكارهم و ثورتهم - عن الطريق المرسوم و الدائرة المحدودة ،

• لقد تضخم العلم و تقدمت الصناعة فى أوروبا ، و لكنها ببحر الظلمات ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس فى جمال البناء ، و حسن المظهر و النظافة ، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد و يخسر ملايين ، إن هذا العلم و الحكمة و السياسة و الحكومة التى تتبجح به أوروبا ليست إلا مظاهر جوفاء ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب و يلقون درس المساواة الانسانية و العدالة الاجتماعية ، إن البطالة و العرى و شرب الخمر و الفقر هى فتوح المدنية الافرنجية ، إن الأمة التى لا نصيب لها فى التوجيه السماوى و التنزيل الإلهى غاية

١ - ييام مشرق ، ص ٢٤٨ يعنى أن أوروبا لم تكن أرض النبوة و الانبياء من الزمن القديم و لم يكن فيها اشراق روحاني إنما ازدهرت فيها الماديات . (٢) أيضاً .

نبوغها تسخير الكهرباء و البخار ، إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، و تسيطر فيها الصناعة تموت فيها القلوب ، و يقتل فيها الحنان و الوفاء ، و المعاني الانسانية الكريمة (١) ،

و قد كان انتقاده و استعراضه للحضارة الغربية و أسسها و مناهج تفكيرها في محاضراته العلية التي ألقاها في مدراس و نشرت بعنوان « تجديد الفكر الديني في الاسلام (٢) » ، أعمق و أكثر تركيزاً بطبيعة الحال ، لأن جو البحوث الفلسفية غير جو الشعر و الأدب ، فقال وهو يتحدث عن طبيعة الحضارة المادية في الغرب و الانسان المعاصر الذي يمثلها و يزرعها ، و عن الازمة و المشكلات التي يعانها :

« الرجل العصري بماله من فلسفات نقدية ، و تخصص على يجد نفسه في ورطة ، فذهبه الطبيعي قد جعل له ساطاناً على قوى الطبيعة ، لم يسبق إليه ، لكنه قد سلبه إيمانه في مصيره هو (٣) » ، الانسان العصري و قد أعشاه نشاطه العقلي ، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة ، أى إلى حياة روحية تتغلغل في أعماق النفس ، و هو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه ، و هو في مضمار الحياة الاقتصادية و السياسية في

١ - بال جبريل .

2 - Reconstruction of Islamic Thought in Islam.

٣ - المصدر المذكور ترجمة عباس محمود ص ٢١٤ .

كفاح صريح مع غيره ، و هو يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة ، و حبه للسال حياً طاعياً ، يقتل كل ما فيه من فضال سام شيئاً فشيئاً ، و لا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ، و قد استغرق في « الواقع » أى فى مصدر الحس الظاهر للعيان ، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، تلك الأعماق التى لم يسبر غورها بعد . و أخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية ، هى ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه ، و الذى أدركه هكسلى (Huxley) و أعلن سخطه عليه (١) .

« و الاشتراكية الملمدة الحديثة — و لها كل ما للدين الجديد من حية و حرارة — لها نظرة أوسع أفقاً لكنها قد استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب هيغل (Hegel) و قد أعلنت العصيات على ذات المصدر الذى كان يمكن أن يمدّها بالقوة و الهدف ، و هى « إذن ليست ، بقادرة على أن تشفى علل الانسانية (٢) » .

و محمد إقبال يصف هذا المجتمع — الأوروبى — بمجتمع يحركه تنافس وحشى و هذه الحضارة بحضارة فقدت وحدتها الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية ، و القيم السياسية (٣) .

١ - المصدر السابق ص ٢١٥ — ٢١٦ .

٢ - أيضاً ص ٢١٦ — ٢١٧ . (٣) أيضاً ص ٢١٧ .

و ينظر محمد إقبال — ككل مطلع خير — إلى الرأسمالية و الشيوعية ككفرعين من دوحه المادية و أسرتين للحضارة الغربية ، إحداهما شرقية ، و الأخرى غربية ، تلتقيان على النسب المادى ، و التفكير المادى ، و النظر المحدود إلى الانسان ، و يقول بلسان السيد جمال الدين الأفغانى — فى رحلة فكرية تخيلها و اجتمع به فيها — « إن الغربيين فقدوا القيم الروحية و الحقائق الغيبية ، و ذهبوا يبحثون عن الروح فى « المعدة » ، إن الروح ليست قوتها و حياتها من الجسم و لكن الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة و البطن » ، و ديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون ، إن الأخوة الانسانية لا تقوم على وحدة الأجسام و البطون ، إنما تقوم على محبة القلوب ، و ألفة النفوس (١) » .

« إن الملوكية و الشيوعية تلتقيان على الشره و النهاية ، و القلق و السامة ، و الجهل بالله و الخداع للانسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج » ، و عند الملوكية « خراج » ، و الانسان البائس بين هذين الحجرين قاروة زجاج ، إن الشيوعية تقضى على العلم و الدين و الفن ، و الملوكية تنزع الروح من أجسام الأحياء و تسلب القوت من أيدي العاملين و الفقراء » ، لقد رأيت كليهما غارقين فى المادة ، جسمهما قوى ناضر ، و قلبهما مظلم فاجر (٢) » .

١ - جاويد نامه ، ماخوذ من « روائع اقبال » للمؤلف ، ص ١١٣ - ١١٤ .

٢ - أيضاً .

الحضارة الغربية

والإفطار الإسلامية : ويعتقد محمد إقبال أن هذه الحضارة غير قادرة على إسعاد البلاد الإسلامية ، وإعادة الحياة إليها ، يقول : « إن الحضارة التي قد أشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيي غيرها (١) ، و قد جزت من إحسان هذه البلاد الشرقية إساءة من جانبها ، و كافأت خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبياً (٢) رسالته العفة و المواساة و الرحمة ، و مقابلة الشر بالخير ، والظلم بالعفو ، و قد منحته أوربا — بدورها و مقابل كل ذلك — الخمر و القمار ، و الفجور و هجوم المؤسسات (٣) ، »
نقده لدعاة التجديد

في الشرق : إنه يسيئ الظن بدعاة التجديد — و بالأصح التغريب — في الأقطار الإسلامية ، و يخشى أن تكون الدعوة إلى التجديد حيلة و ستاراً لتقليد الأفرنج (٤) ، يقول : « إتنى يائس من زعماء التجديد في الشرق ، فقد حضروا في نادي الشرق بأكواب فارغة ، و بضاعة مزجاة في العلم و الفكر ، »

« إن البحث عن « برق جديد » في هذا السحاب عبث و إضاعة وقت ، فقد تجرد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم ، »

١ - ضرب كليم ص ٦٨ .

٢ - يشير إلى سيدنا عيسى عليه السلام .

٤ - أيضاً ص ١٧٠ .

٣ - ضرب كليم ص ١٥٠ .

فضلا عن البرق الجديد (١) ،

إنه يعارض التقليد الأعجمي في أمة من الأمم ، و لا سيما
الامة التي خلقت لقيادة الأمم و لإحداث الثورة في العالم ، و
يقول : « إن الذي يأتي بالجديد في هذا العالم الذي يتجدد دائماً
هو نقطة الدائرة التي يطوف حولها الزمان ، لا تعطل شخصيتك
— أيها المسلم — بالتقليد الأعجمي ، و احتفظ بكرامتك فانها
الجوهر الفرد ، إن التجديد (بمعنى التغريب) لا يليق إلا بأمة
لا تفكر إلا في الدعة و الترف (٢) » .

إنه يعاتب الأمم الشرقية الاسلامية التي كانت دورها دور
التوجيه و القيادة ، و أصبحت تمثل دور التلذذة الخاشعة ، و
و التقليد الذليل ، يقول — و كأنه يشير إلى الشعب التركي
الاسلامى و من كان على شاكلته — إن أولئك الذين كانوا
يستطيعون أن يقودوا عصرهم أصبحوا بسخافتهم يقلدونه و يمشون
وراءه (٣) » .

إيمانه بفضل الحضارة

الاسلامية و حيويتها : إنه شديد الايمان بما تضمه الحضارة
الاسلامية و الشريعة الاسلامية من حيوية خالدة و قوة دافقة ،

١ - ضرب كلام ص ٦٩ ، يشير إلى أن هؤلاء المصلحين تقاسمهم القديمة و
ثقافتهم الجديدة ضعيفتان محدودتان ، ليس لهم في إحداها كعب عال و لا باع طريل

٢ - بال جبريل .

٣ - ضرب كلام ص ١٧٠ .

و إمكانيات واسعة لتكوين عالم جديد ، و تأسيس مجتمع جديد ،
يقول في خطبته التي ألقاها رئيساً لمؤتمر الأحزاب الإسلامية في
دهلي سنة ١٩٣٣ م مخاطباً للمسلمين .

« إن الدين الذي تحملون رأيه يقرر قيمة الفرد ، و يريه
تربية تجعله يذل كل ما عنده في سبيل الله ، و في صالح عباده
إن مضمرات هذا الدين القيم و كوامنه لم تنته بعد ، إن في
استطاعته أن يوجد عالماً جديداً يجبي فيه الفقراء الأغنياء لا يقوم
فيه المجتمع البشرى على مساواة البطون ، بل يقوم على مساواة
الأرواح »

المعمل الإسلامي الجديد : و لذلك كان يعتقد — بكل إخلاص
و حماسة — أنه لابد من وجود رقعة حرة تقوم فيها عملية الحياة
الإسلامية ، بجميع نواحيها و شعبها ، و تتجلى فيها عبقرية الشريعة
الإسلامية ، و عدل النظام الإسلامي ، و تستطيع فيها الطريقة
الإسلامية في الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً ،
و لما كانت الهند — كما قال في خطبة رئاسته للعصبة الإسلامية
سنة ١٩٣٠ م — قطراً تسكن فيه جالية تكون أكبر مجموعة
إسلامية في بلد واحد ، كانت أحق بتقديم هذه التجربة و بتسكون
هذا المركز الإسلامي و بتعبير أدق المعمل الذي يثبت فيه الإسلام
صلاحه لتكوين المجتمع الصالح . و تنظيم الحياة الاجتماعية ،
و حل المشكلات الاقتصادية ، و توجيه المدينة توجيهاً صالحاً ،

و التطبيق بين العقيدة و العمل و الروح و المادة ، و الفرد و الجماعة تطبيقاً يثير العجب و الإعجاب ، و يحمل قادة الأقطار الاسلامية على التقليد و يحمل المفكرين فى العالم على التفكير من أسلوب جديد .

كان هذا النظر البعيد ، و هذا الطموح الذى لم يعرف نظيره فى العالم الاسلامى ، أساس مملكة باكستان ، و قد تحقق هذا الحلم البعيد فى سنة ١٩٤٧ م و قامت دولة باكستان ، و قد اعترف الزعيم محمد على جناح بهذا الأساس الفكرى الذى قرره محمد إقبال و تغنى به . فقال فى أول خطبة خطبها بعد قيام باكستان :

« لقد أصبحت باكستان التى كنا فى سبيلها عشر سنين كوامل حقيقة ملبوسة ، ولكن يجب أن لا ننسى أن قيام مملكتنا الحرة ليست غاية ، إنما هى وسيلة ، إن الغاية و الهدف النهائى قيام مملكة نعيش فيها أحراراً ، و تقدم بها وبق طبيعتنا الخاصة و ثقافتنا ، و تنفذ فيها مبادئ العدالة الاجتماعية فى الاسلام بحرية ، و لكن هذه العملية — التى لا تساويها عملية فى الضخامة و الدقة و الخطورة و بعد النتائج — لا تقوم و لا تتحقق إلا على أيدي القادة الذين يؤمنون بجلود الشريعة الاسلامية وفضل الحضارة الاسلامية إيماناً لا يشوبه شك ، و يخلصون لها إخلاصاً لا يشوبه نفاق ، و يتحررون من ربة الحضارة الغربية ، و الايمان بقيمتها و أسسها ،

و من رق الثقافة الأجنبية تحرراً كاملاً ، و يجمعون - على الأقل - بين الايمان الراسخ و الشجاعة الخلقية ، و المقدرة على استخدام الوسائل و الطاقات التى أحدثتها العلوم الحديثة ، و تكييفها للمجتمع الاسلامى الحر .

العملية فى الامتحان : و لكن هذه العملية - التى قفزت إلى الوجود لأسباب تاريخية و سياسية و فاجأت العالم المعاصر - لم تجد فرصة تهيئة هذا الجيل و إعداد هذه القيادة ، و قد عجز نظام المعارف الغربى السائد فى الأقطار الشرقية ، و عجزت الجامعات الغربية التى تلقى فيها هؤلاء السادة ثقافتهم عن أن تنتج أحسن منهم فى عامة الأحوال ، و عن أن تنتج غير هذا الطراز من التفكير ، و غير هذا الأسلوب من الحياة . و الشجرة لا تلام على ثمرتها الطيبة ، و لا يرجى تغيير هذا الوضع ، و وجود القيادة التى تحقق هذه العملية حتى يغير نظام المعارف و نظام الشقيف و التربية فى هذه البلاد ، و يمنح الاسلام و المجتمع الاسلامى حق تخريج و اختيار من يتولى قيادته و يقرر مصيره مطابقاً لعقيدته و فطرته ، و آماله و حاجاته ، و هو حق طبعى لكل شعب و لكل مجتمع ، لا يجوز جحوده فى أى عصر و فى أى مكان .

أهمية الدور الذى تمثله

مصر فى العالم الاسلامى : و كانت مصر - منذ عهد الخديو محمد على باشا و جلاء الفرنسيين - فى ١٧٩٩ م المجال الثالث الرئيسى

الذى ظهر فيه صراع الشرق و الغرب ، الفكرى و الثقافى و الحضارى و الاجتماعى فى أبرز مظاهره و أقواها ، فقد بذرت الحملة الفرنسية و بقاء إدارتها و قيادتها للأُمور مدة (١) - قصيرة بحساب الشهور ، طويلة بحساب التأثير و النفوذ - بذوراً عميقة فى التربة المصرية ، و العقلية الاسلامية العربية ، و احتك الشرق بالغرب فى أرض مصر احتكاكا مباشراً ، و وصل - بين الشرق و الغرب - بعثات علمية و ثقافية عنى بإرسالها الحديو للاستفادة من الغرب و نظمته و علومه ، و للتقدم بمصر فى مضمار العلم و الصناعة و الفنون و الإدارة ، حملت إلى مصر ثمرات الثقافة الغربية ، ثم انشئت ترعة السويس - فى عهد إسماعيل - تصل بين البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسط فتحدث انقلاباً فى تاريخ السياسة و التجارة العالمية ، و ترفع الفجوة بين العالمين الغربى و الشرقى و تسهل مهمة اللقاء و الالتقاء .

و كانت مصر بخصائصها الكثيرة التى لا يشاركها فيها أحد جديرة بأن تكون متلقى يلتقى فيه ما فاقت فيه أوربا - بمجدها و كفاحها - من العلوم التطبيقية ، و الوسائل الحديثة ، و ما خص الله به الشرق الإسلامى من علم و يقين و أسس صالحة خالدة للحياة السعيدة ، و محركات و دوافع قوية نبيلة لا تنبثق إلا من العقيدة القوية و القلب الفائض بالايمان و الحب ، و كانت

١ - و هى مدة سبعة أشهر ٢٤ يوليو ١٧٩٨ م - ١٠ فبراير ١٧٩٩ م .

مصر من أوفر البلاد نصيباً من هذه الثروة الكريمة و من أقدرها على توسيعها و توزيعها بفضل غناها في اللغة العربية و العلوم الدينية ، و وسائل الطبع و النشر ، و وجود الأزهر أكبر مركز ثقافي ديني في العالم الاسلامي ، و بفضل مرونة العقل المصري ، و قدرته القديمة على الأخذ والإعطاء ، والتأثر و التأثير ، و كانت جديرة بأن تضرب مثلاً صالحاً للعالم الاسلامي وللأقطار الشرقية للتبادل الحر الشريف المؤسس على الشعور بالكرامة و الثقة بالشخصية ، و التمسك بالعقيدة في جانب و روح السماحة و الانصاف ، و تقدير العلم و الحكمة ، و الترحيب بالصالح النافع في جانب آخر ، التبادل الذي لا ينحسر فيه الميزان ولا يطفف فيه الكيل .

الحاجة إلى قناة جديدة : لقد كان لمصر أن تنشئ قناة أفضل من قناة السويس ألف مرة ، و أعود منها على الشعوب الانسانية بالخير و السعادة ، و أعمق منها تأثيراً في اتجاه العالم و مصير الشعوب و الأمم ، و أوسع تأثيراً في التاريخ الانساني ، هي قناة التعارف الصحيح المتبادل المتوازن بين الشرق و الغرب ، قناة تصل الشرق المتخلف في العلوم الطبيعية و الصناعات المفيدة بالغرب الذي قد بلغ الذروة فيها ، و تصل الغرب الحائر المتخم بقوة المادية ، المفلس في الروح و الأخلاق ، اليائس المتشائم ، السالك في سبيل الانتحار بمنابع الرضا و الهدوء و الأمن العاطفي ،

و الثقة المتبادلة و الأمل القوى فى مستقبل الانسان ، الكامنة فى رسالات الشرق الدينية و الروحية التى يمثلها الاسلام فى شكلها الكامل النهائى ، و تصل وسائل الغرب الهائلة الجبارة المكسدة التى لاتعرف غاية بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التى لاتملك وسيلة ، تصل الغرب الذى يستطيع و لا يريد ، بالشرق الذى يريد و لا يستطيع ، فيفيض كل واحد منهما على الآخر أفضل ما عنده ، و يتعاونان — تعاون الشقيقين — فى إسعاد البشرية ، و تهذيب المدنية ، هذه القناة الثقافية العقلية التى تعتبر — لو تحققت و ظهرت إلى الوجود — قفحاً جديداً فى العالم ، و مأثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرف فى التاريخ الحديث ، و تكسب لمصر الزعامة الخالدة ، و أشرف مركز تطمح إليه القلوب والابصار .

لقد كانت مصر جديرة باحتلال هذا المركز الخطير ، وتمثيل هذا الدور العظيم ، لو تهيأ لها — فى أول عهدها بالحضارة الغربية و الثقافة الأجنبية — إيمان قوى بخلود الرسالة الدينية التى أكرمها الله بها بالاسلام ، و شدة حاجة الانسانية إليها ، و العزم الصميم على الاخلاص لها ، و الاتصاف بصفاتها ، و التفانى فى سبيلها ، و الهضم الصحيح القوى للعلوم العصرية ، و تقوية نفسها بها و إخضاعها للدور الذى يجب أن تمثله فى العالم المعاصر ، و تهيأت لها شخصيات مؤهلة قوية .

موقف مصر التقليدي

الضعيف : ولكن الظروف و الأوضاع السياسية والتعليمية قد صرفت مصر - زعيمة العالم العربي الاسلامي - عن تمثيل هذا الدور العظيم ، دور القيادة و التوجيه ، و دور التأثير في العالم الغربي . و جعلتها تقف من العالم الغربي موقف التليذ ، و موقف المقلد المقتبس ، و جعلت مهمة هذه القناة الثقافية الفكرية مقصورة على الاستيراد فقط ، استيراداً لا تتجلى فيه شخصية مصر الاسلامية العربية و العقلية الناضجة الناقدة .

من أهم هذه الأوضاع التي اتجهت بها مصر هذا الاتجاه الضعيف الذي أساءت به مصر إلى نفسها ، و إلى العالم العربي الذي تولت زعامته و قيادته ، الوضع السياسي القائم الذي كانت تعيش فيه مصر في القرن التاسع عشر ، و يشاركها فيه العالم الاسلامي بصفة عامة ، عصر النفوذ الأجنبي و الاحتلال البريطاني الاحتلال المباشر ، أو غير المباشر ، فقد شغل هذا الوضع - الغير الطبيعي - تفكير قادة الفكر في العالم الاسلامي ، و استنفد جهودهم و مواهبهم ، و لم يدع لهم مجالاً في التفكير و لا سعة في الوقت ، و لا فضلاً في الذكاء .

السيد جمال الدين الأفغاني

و انقطاعه إلى السياسة : كان السيد جمال الدين الأفغاني ، أنبع عقلية و أقوى شخصية عرفت الغرب دراسة و سياحة ،

و ثقافة و سياسة ، و أقدر نوابغ الشرق على مواجهة حضارة الغرب و فلسفاته المادية و نقدها ، و صيانة الشرق من سيطرتها و سلطانها الفكرى ، و منعه من الانجراف الذى تفقده شخصيته و رسالته ، و كتابه الصغير الذى وضعه فى الرد على الدهريين ، يدل على سعة دراسته و عمق تفكيره و قوة شخصيته ، و لم يكن الدكتور محمد إقبال مبالغاً إذ قال :

« إن جمال الدين كان انساناً له نظرة عميقة فى تاريخ الفكر الإسلامى ، و الحياة الإسلامية ، لذلك لو ركز قوته الذهنية فى خدمة الإسلام كنظام للتوجيه الإنسانى و الحياة الاعتقادية للانسان ، لوجد العالم الإسلامى اليوم على أساس أقوى بكثير (١) ،

و لكن وضع العالم الإسلامى بصفة عامة و وضع مصر — التى قضى فيها جمال الدين أفضل أيام حياته و أكثرها إنتاجاً ، و اتخذها مركز نشاطه العقلى — و الطبيعة التى خلقه الله عليها ، من الذهن الوقاد و الذكاء الحاد ، و الحمية الإسلامية الشائرة ، و الأنفة الأفغانية المتهيجة ، كل ذلك منع جمال الدين عن التفكير فى غير إنهاض البلاد الإسلامية سياسة و تنظيمها ، و إعادة الكرامة و القوة إليها ، و الربط بين أجزائها ، و إقصاء النفوذ الأجنبى عامة و النفوذ البريطانى — الذى اكتوى بناره فى بلاده و فى الهند و إيران و فى مصر — خاصة ، و طبع نشاطه و كفاحه

1 — The Modern Trends in Islam. P. 28-29.

بطابع السياسة ، و أصاب الدكتور محمد البهى إذ قال :
 « (كان جمال الدين) ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب
 و من تاريخ الأمة الإسلامية نفسها ، كما ينتزع الشواهد المحسوسة
 التى تفزع المسلمين من السياسة الاستعمارية فى البلاد الإسلامية
 (فى الهند و مصر على الخصوص) هذه الأمثلة التى كان ينتزعها
 من شواهد الحياة الإسلامية ، و مظاهرها فى وقته ، مع بيان
 مدى ألا عيب السلطات الأجنبية و دسائسها ، و هدفها الذى
 نهايته بسط النفوذ الأجنبى لصالح الجماعة الأوربية و حدها على
 رقعة العالم الإسلامى .

هذا الإحتكاك المباشر نفسه هو الذى أظهر حركة جمال
 الدين الأفغانى فى صورة حركة سياسية ، و هو نفسه السبب فى
 أن يلقى بمركز الثقل فى نشاطه على « الحرية السياسية » فى الشرق
 الإسلامى ، للمواطنين جميعاً مسلمين و مسيحيين (١) ،
 و خير من يحق له التعبير عن نفسية السيد جمال الدين و

تلخيص دعوته هو تليذه الشيخ محمد عبده ، و هو يقول :
 « أما مقصده السياسى الذى قد وجه إليه كل أفكاره و أخذ
 على نفسه السعى إليه مدة حياته — و كل ما أصابه من البلاء
 أصابه فى سبيله — فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها و تنييعها
 للقيام على شئونها حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، و الدولة بالدول

١ - الفكر الإسلامى الحديث ص ٥٠

القوية ، فيعود للإسلام شأنه ، و للدين الحنيفي مجده ، و يدخل
في هذا تقليص ظل بريطانيا في الأقطار الشرقية (١) ،
فضل حركة السيد

جمال الدين و مدرسته : لم تكن هذه الغاية الجسيمة و الأوضاع
السياسية الجاثمة على الشرق لتدع لمثل السيد جمال الدين الأفغاني
— في قوة عاطفته و حساسيته — حقلاً آخر للنشاط و الانتاج ،
و تدع يعمل عملاً ايجابياً بناءً في المجتمع الاسلامي ، و يقوم
بدراسة عميقة تحليلية للحضارة الغربية ، و ما يحسن اقتباسه منها
و مالا يحسن ، و بناءً فكر اسلامي جديد يسائر الزمان و يتغلب
على نزعة تقليد الغرب .

و لكن دوره عظيم جداً في رفع قيمة الدين و التمسك
بالاسلام ، و الاعتماد على القرآن في عيون النشء الجديد ، و في
إعادة الثقة بصلاحية الاسلام لكل زمان و مكان ، إلى نفوس
الشباب المثقف ، يستحق به أن يعتبر أبا الجيل الاسلامي الجديد ،
و عظمته في أنه حال بين الطبقة المثقفة الذكية في مصر و غيرها ،
و بين الاتحاد والثورة على الدين ، و آخر أو بقاء سير النزعة
العلمانية تغزو عقول المثقفين ، و تكون الأساس الفكري و
الميثاق القومي للحكومات الاسلامية ، آخرها مدة نصف قرن ،
و هي مدة لا يستهان بها في سير الحوادث و تيارها الجارف ، و

١ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث للدكتور أحمد أمين ص ١٠٦

لولا هو و تليذه النابغة - الشيخ محمد عبده - اللذان أصبح
حبيهما و الانتصار لهما شعار المثقفين الأحرار في الشرق الأوسط،
لكان الإلحاد و التبرؤ من الدين أسرع و أوسع في هذه الطبقة
التي لم تخضع قط فكرياً لعلماء الدين على النمط القديم ، و قد
صدق المستشرق الألماني الكبير كارل بروكلمان إذ قال :

« مهما يكن من أمر فقد كان الاسلام - و لا يزال -
هو المهيمن على الحياة الدينية في مصر ، و إنما يرجع الفضل
في ذلك - في المحل الأول - إلى تأثير جمال الدين الأفغانى (١)،
حركة « الإخوان » .

و الخسارة بفقدانها : و لكن الحاجة إلى مواجهة حضارة الغرب
وجهاً لوجه ، و نقدها النقد الجريئ الأصيل ، و الظهور أمام
الغرب في مظهر الداعى المهاجم كان يطلب دراسة أعمق ، و جهوداً
أكثر ترابطاً و أكثر تركيزاً ، و معرفة بطبيعة الحضارة الغربية و
تركيبها أدق ، و حماسة في الدعوة إلى الاسلام و نظمه و مناهجه أشد ،
و تطلب موقفاً غير موقف الزعيم السياسى الذى وقفه جمال الدين ،
و موقف المحامى المدافع عن الشريعة الاسلامية الذى وقفه الشيخ
محمد عبده ، على إخلاصهما و عظمة شخصيتهما ، و ضخامة الفائدة
التي حصلت على أيديهما و أيدي تلاميذهما الفضلاء .

و قد كان في حركة « الإخوان المسلمون » كبرى حركات

١ - جمال الدين الأفغانى الاستاذ محمود أبورية ص ١٢ .

الشرق الأوسط الدينية والسياسية ، لو قدر لها أن تسير سيرها الطبيعي و تؤثر تأثيرها المطلوب و التف حولها الباحثون النوابغ والمفكرون الاسلاميون و رجال الاختصاص الفنى ، والدراسات الواسعة العميقة التى قد بدت طلائعها (١) أمل فى أن يتم مابدأه السيد جمال الدين الأفغانى و محمد عبده من عمل تحرير الفكر الإسلامى الشرقى من جمود القديم و من تقليد الغرب السخيف ، و تملأ الفراغ الفكرى فى الشرق و تنجح فى تأسيس المجتمع الإسلامى القوى المستقل فى شخصيته و فى تفكيره و فى وطنه ، و لكن طغيان الجانب السياسى العملى على رجال هذه الدعوة فى جهة و محاربة القوات المتجهة إلى « العلمانية » و المادية لها فى جهة أخرى قد حرمت العالم العربى - و العالم الإسلامى بدوره - ثمرات هذه الحركة الواسعة القوية التى كانت أقوى انتفاضة دينية و ثورة إسلامية فى العصر الحاضر ، و كان ذلك رزأ و خسارة للعالم الإسلامى لا تعوض .

المتخرجون فى أوربا طلائع الفكر الغربى فى العالم العربى : بدأ صفوة الأذكياء و خيرة الشباب يدرسون العلوم العصرية فى مصر ثم يؤمنون عواصم الغرب و مراكز الثقافة العصرية الكبرى فى أوربا للتوسع فى الدراسات

٢ - فى كتابات الاستاذ الشهيد عبد القادر عوده و سيد قطب و محمد الغزالي و سعيد رمضان و أضرابهم .

و التعمق فيها ، و يخوضون هناك فى لجة الحضارة الغربية و فى
الأوساط العلمية التى اعتادت البحث العميق الدقيق ، و اعتادت
الحرية الفكرية و الشجاعة الأدبية و عافت التقليد و الأخذ
بشئى على عواهنه ، فكان من المتوقع و من المعقول جداً أن
يوجد فى هؤلاء الشباب الشرقيين الذين نشأوا فى مصر البلد الإسلامى
و قرأوا القرآن — معجزة كل عصر — رجال يروعههم ضعف
أساس الحضارة الغربية و الفكرة الغربية و إسرافها فى المادية ، و
تطرفها فى القومية و النظر المادى القاصر المحدود إلى الإنسان ،
و كل ما أنتجه و قام به من مظاهر العقل و الروح و البطولة ،
و يثير ذلك فىهم النخوة الإسلامية و المعانى الإنسانية الكريمة
العميقة و يثير فىهم روح الاستنكار و التمرد على مثل الحضارة
الزائفة ، و يكون فىهم مفكر حر مثل محمد إقبال و ناثرو
داعية مثل محمد على (١) و كانوا أولى بذلك من هذين فقد نشأ

١ - هو الزعيم الهندى المشهور محمد على بن عبد العلى ، ولد فى إمارة رام پور (فى
المقاطعة الشمالية الغربية) سنة ١٨٧٨ م و نشأ فيها فى حضانة أمه القوية النفس و الهمة ،
و التحق بمدرسة برلى الثانوية ، ثم انتقل إلى كلية هليكره الإسلامية ، و تخرج فيها
فى سنة ١٩٠٦ م ، و سافر إلى إنجلترا و انتسب إلى جامعة أوكسفورد حيث نال شهادة
فى الليانس (B. A.) بامتياز و فاق فى الأدب الانجليزى ، و احتوى على ثروته
الأدبية و أساليب اللغة الانجليزية المتنوعة كإبناء البلاد ، و أصحاب اللغة ، و رجع إلى الهند
و شغل وظيفة كبيرة فى إمارة « بروده » و مكث فيها سبعة أعوام ، ثم استقال منها
و أصدر من كلكتا سنة ١٩١١ صحيفة (Comrade) الأسبوعية الانجليزية
التي نالت إعجاب الانجليز و أدبايهم و حكماءهم بأسلوبها الأدبى الرصين و الفكاكة الحلوة —

الاثنان في بيئة بعيدة عن مهد الاسلام و مركز الثقافة
الاسلامية ، و جرى في عروقهما دم غير عربي و غير إسلامي (١) ،
و لكن هذا الأمل لم يتحقق إلا في نادر الأحوال ، و رجع
أكثر هؤلاء الشباب المسلمين طليعة الفكر الغربي ، و دعاة

— و انتقلت بعد ذلك إلى دهملي ، و أصدر منها صحيفة يومية اردوية سماها
(همدرد) و نالت المكانة الرفيعة و القبول العام لصدق لهجتها ، و كتب مقالة مستفيضة في
كومريد طويلة بعنوان (Choice of the Turks) « إختيار الأتراك » ، إنتقد
فيها سياسة الحلفاء و الانجليز بصفة خاصة ، تدبر من أقوى المقالات التي كتبت في
الهند ، أثارت غضب الحكومة الانجليزية فاعتقلته سنة ١٩١٤ و بقي مدة الحرب العالمية
١٩١٤ - ١٩١٨ حفظ فيها القرآن و درس الاسلام دراسة عميقة و أطلق في آخر سنة
١٩١٩ م و أسس الجامعة المليية الاسلامية في سنة ١٩٢٠ م و اعتقل مرة ثانية بتهمة إثارة
الجيش ضد الحكومة و حكم عليه في كراتشي بسجن عامين و أطلق في آخر سنة ١٩٢٢ و
رأس حفلة المؤتمر الوطني العام (Indian National Congress) في كوكنادا
في جنوب الهند سنة ١٩٢٣ ، و اعتزل المؤتمر سنة ١٩٢٩ م و حضر مؤتمر المائدة المستديرة سنة
١٩٣٠ م و خطب فيها خطبة عظيمة ، و مات في يوم ٤ من يناير سنة ١٩٣١ ، و نقل جثمانه إلى
القدس حيث دفن في المسجد الأقصى في احتفال عظيم و جنازة مشيعة تشييعاً عظيماً ، و رثاه
كبار السياسيين في الأنظار الاسلامية و الهند ، و اذترفوا بعصاميته و عبقرية
الأدبية ، و شجاعته السياسية و حيمته الاسلامية ، و من الأقوال الماثورة للمؤرخ الانجليزي
الشهير (H. G. Wells) إن محمد علي جمع بين قلب نابليون ، و قلم ميكالي ،
و لسان برك .

١ - كان محمد علي من سلالة هندية في شمال الهند الغربي ، و محمد لإقبال أشار إلى
أصله الهندي البرهمي كثيراً ، فيقول في بيت يعاتب فيه شاباً يتنمى إلى أهل البيت قد تأثر
بافلسفة تأثيراً عميقاً و مال إلى الإلحاد : أنت تنتمى إلى سيد بني هاشم في نسلك ،
أما أنا — المؤمن بالاسلام و بمحمد صلى الله عليه وسلم إيماناً لا يعتريه شك — فان
طينتي هندية ، و انا انتمى في نسبي إلى سومنات — معبد الوثنيين القديم — و كان
آبائي من عباد اللات و مناة . (ضرب كلمهم)

متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية و قيمها و مفاهيمها و
تصوراتها .

صدى أفكار

المستشرقين في مصر : بل رجع كثير منهم متشبعين بروح الغرب
يتنفسون برثة الغرب ، و يفكرون بعقله ، و يرددون — في بلدهم —
صدى أساتذتهم المستشرقين ، و ينشرون أفكارهم و نظرياتهم في
إيمان عميق ، و حماسة زائدة ، فلا يقرأ انسان لعالم مستشرق في
الغرب بحشاً و لا يعرف له نظرية إلا و يجد أدبياً أو مؤلفاً في
مصر يتبنى هذه النظرية بكل إخلاص و يشرحها و يدعو إليها
في كل لباقة و بلاغة ، مثل بشرية القرآن ، و فصل الدين عن
السياسة ، و أن الاسلام دين لا دولة ، و الدعوة إلى العلانية ،
و الشك في مصادر العربية الأولى ، و الشك في قيمة الحديث
العلية و انكار مكاتنه و حججه و مكانة السنة في الاسلام ، و
الدعوة إلى تحرير المرأة و مساواتها بالرجل و إلى السفور ، و كون
الفقه الاسلامي مقتبساً من القانون الروماني ، و متأثراً به في روحه
و سبكه ، و الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام ،
و تمجيد العصر الفرعوني ، و التغنى بحضارته و أدبه و أجماده ،
و الدعوة إلى العامية و التأليف فيها ، و اقتباس الحروف اللاتينية
و التقنين المدني العربي على أساس القانون المدني الغربي ، و الدعوة
إلى القومية العربية و الاشتراكية المادية — و الشيوعية الماركسية

أحياناً — في العصر الأخير ، ترى ظلال الفكر الغربي بل التعبير الغربي وارقة ممدودة على العقول العربية و الأقلام العربية مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة ، منعكسة فيها . انعكاس الشمس في المرأة الوضيعة ، و قد شهد بتغلغل الأفكار الغربية في المجتمعات و الدول الاسلامية عالم مستشرق عرف الشرق الاسلامي ، و عرف تياراته الفكرية معرفة دقيقة ، يقول هـ ، أ ، ر ، جب في كتابه « إلى أين يتجه الاسلام » ؟ :

« و إذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنموذ الغربي ، ولمدى تغلغل الثقافة الغربية في الاسلام كان علينا أن ننظر إلى ماوراء المظاهر السطحية ، ... علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة و الحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثير بالأساليب الغربية بعد أن تهضم و تصبح جزءاً حقيقياً من كيان الدولة الاسلامية ، فتتخذ شكلاً يلائم ظروفها (١) »

اتجاه حركة التأليف والترجمة
إلى الأدب و الاجتماع : و كان هؤلاء الأدباء و الكتاب قد أسدوا معروفاً كبيراً ، و أحسنوا إلى مجتمعاتهم و بلادهم و لغتهم لو نقلوا الكتب من اللغات الغربية المؤلفة في أغراض العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية و الطبيعية و الميكانيكية

1 — Wither Islam P. 328 — 329

الترجمة مأخوذة من رسالة « في ذكر الهدامين » للدكتور محمد محمد حسين .

النظرية و التطبيقية ، التي لا تزال المكتبة العربية فقيرة فيها كما فعل الأدباء في اليابان فحولوها إلى بلاد صناعية تضارع أعظم الدول و الأقطار الأوربية في العلوم الطبيعية و الصناعية ، و كما فعلت دار الترجمة في حيدر آباد ، ولكن انصرفت عنايتهم و هو ايتهم إلى ترجمة كتب الآداب و علم الاجتماع و الفلسفة و التاريخ ، و الروايات و القصص ، و ترجمة كتب كثير من دعاة الالحاد و الثورة و الاضطراب الفكرى في المجتمع الغربى ، التي ساعدت في انتشار التبليبل الفكرى و الاضطراب الاجتماعى ، و ضعف شخصية الفكر العربى و الأدب العربى ، و أحدثت اضطراع الأفكار و المثل و مناهج الفكر .

و قد وجد لهذا الاتجاه الأدبى كتاب و أدباء في مصر لهم قيمتهم الأدبية و إنتاج أدبى كبير ، و لكن لم يظهر في مصر و لا في الشرق العربى نوابغ و عبقيرون في العلوم العملية و في مجالات الطبيعة و الكيمياء ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، يعترف العالم الغربى بتفوقهم في هذه العلوم ، و بقيمة بحوثهم و إنتاجهم العلمى ، و ينالون إعجاب الأوساط العلمية الكبيرة و تقديرها .

صورة من الحياة الغربية : و وجد في مصر كتاب و أدباء دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية ، و اتخاذها مثلاً أعلى في الحضارة و الاجتماع ، و كانت مصر — لبقائها تحت الاحتلال الغربى مدة طويلة ، و بحكم قربها من أوربا و بفقدان الدعوات

الدينية التجديدية المؤسسة على النقد العلمى - تزداد انصباعاً بالحضارة الغربية كل يوم ، و تتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً ، حتى كادت تصبح فى الطبقة المثقفة و الارستقراطية صورة من الحياة الغربية ، و استطاع الدكتور طه حسين فى سنة ١٩٣٨م أن يصور بلده تصويراً غريباً ، و يقول فى كتابه المشهور « مستقبل الثقافة فى مصر » :

« حياتنا المادية أوربية خالصة فى الطبقات الراقية ، و هى فى الطبقات الأخرى تختلف قرباً و بعداً بين الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد و الجماعات و حظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد ، و معنى هذا أن المثل الأعلى للمصرى فى حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوربى فى حياته المادية (١) ،

« و حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها و ألوانها أوربية خالصة ، نظام الحكم عندنا أوربى خالص ، نقلناه عن الأوربيين نقلاً فى غير تخرج و لا تردد ، و إذا عينا أنفسنا بشئ من هذه الناحية فأنما نعيها بالإبطاء فى نقل ما عند الأوربيين من نظم الحكم و أشكال الحياة السياسية (٢) ،

« و التعليم عندنا على أى نحو قد أقنأ صروحه ، و وضعنا مناهجه و برامجه منذ القرن الماضى ؟ على النحو الأوربى الخالص ، ما فى ذلك شك و لا نزاع ، نحن نكون أبناءنا فى مدارسنا

٢ - اجناً ص ٢٢

١ - مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣١

الأولى و الثانوية و العالية تكويناً أورياً لا تشوبه شائبة (١) ،
و يستخلص من هذا كله النتيجة الآتية ،

« كل هذا يدل على أننا في هذا العصر الحديث نريد أن
نصل بأوروبا إتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً
منها لفظاً و معنى و حقيقة و شكلاً (٢) » ،

دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار

نفسها جزءاً من الغرب : لقد كان من المتوقع ومن المعقول
جداً أن مثل الدكتور طه حسين صاحب الشخصية القوية في
الآداب و العلم ، الذى حفظ القرآن فى الصغر ، ودرسه فى الكبر
و تعلم فى الأزهر ، و نظر فى العلوم والآداب نظرة حرة واسعة ،
و رأى شقاء أوروبا بحضارتها المادية و فلسفاتها الإلحادية ، و
حكوماتها القومية ، و تدمير مفكرىها و العلماء الأحرار فيها ، و
درس تاريخ العرب و السيرة المحمدية دراسة تذوق و إتقان ،
لقد كان من المتوقع والمعقول جداً ، أن يدعو مصر إلى الاستقلال
الفكرى و الحضارى ، و تربية شخصيتها الإسلامية العربية ، و
النهوض برسالتها العظيمة التى تستطيع أن تحدث انقلاباً فى الأوضاع
العالمية ، و تمنح مصر مركز الزعامة و القيادة و التوجيه حتى و
لو كانت مصر جزءاً من العالم الغربى ، و قطعة من أوروبا ،
فالرسالات السماوية الانسانية أسمى وأوسع و أبقى من الحضارات ،

٢ - أيضاً ص ٢٤

١ - أيضاً ص ٢٦

و هي غنية عن الحدود الجغرافية ، و الأدوار التاريخية ، و إذا فعل ذلك ، و قام بهذا الدعوة كان رائد النهضة الفكرية الحقيقية ، و الثورة المصرية المباركة ، و اتفق ذلك مع مواهبه العظيمة كل الاتفاق .

و لكن كان من نتائج تغلغل الثقافة الغربية في الطبقة المثقفة في العالم الاسلامي و سيطرتها على التفكير و المشاعر ، ضعف المجتمع الاسلامي الذي نشأ و عاش فيه طه حسين إنه قام يدعو مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب ، و يجند كل ذكائه و إنشائه و دراسته التاريخية لإثبات أن العقلية المصرية عقلية أوربية أو قريبة قريباً شديداً من الأوربية ، و لها اتصال وثيق بالعقلية اليونانية ، و بعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية ، و هي منذ قديم الزمان ، منذ العهد الفرعوني لم تتأثر بالطارئ عليها في أى عصر ، فلم تتغير بالفرس ، و لا بالرومان و لا بالعرب و الاسلام ، « إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشئ فأنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، و إن تبادل المنافع على اختلافها فأنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط (١) » ، و يقول : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، و اعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند و الصين (٢) » ، و على هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين

إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم ومشاركة الغربيين - أعضاء الأسرة العقلية الواحدة - في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم فيقول :

«... أن نسير سيرة الأوربيين و نسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً و لنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها و شرها ، حلوها و مرها ، و ما يحب منها و ما يكره و ما يحمده منها و ما يعاب (١) » ،

« و أن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها ، و نقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها (٢) » ،
مستوى فكري نازل : إن هذا المستوى الفكري ، مستوى التقليد و التطبيق و التشبه و الانسجام بالغرب ، و إن قياس التبعات و الواجبات و الرسائل بمقياس الجغرافية و التاريخ و طبائع الأمم و عقلياتها في ضوء التاريخ القديم ، مستوى كنا نتوقع من عالم مصرى و أديب مفكر مثل الدكتور طه حسين أن يترفع عليه ، و قد ترفع على ذلك بعض القادة الشرقيين في أقطار غير إسلامية فصاروا يلهجون بالجامعة الانسانية والنظرة الآفاقية ، و المثل الخلقية و الروحية التي هي فوق الحدود و الثغور و فوق المناطق الحضارية و الثقافية في العالم القديم أو الجديد ، ويكفرون بالروابط التي توزع الأسرة الانسانية الموحدة بين الأوطان و

الأجناس و المناطق الحضارية و بين العالم الغربى و العالم الشرقى ،
و كان المسلم العربى أحق بهذه الفكرة الواسعة و أحق بأن
يتزعم هذه الدعوة و يقودها فانه نشأ فى ظل « شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية و لا غربية » ،

الطبعة الجديدة العربية

للحركة الكمالية التركية : لم تزل الثقافة الأجنبية — فى داخل
البلاد و خارجها ، و لم تزل الدعوة إلى « التغريب » ، والفلسفات
الغربية المادية التى ترد إلى البلاد من الخارج ، و يتطوع لنشرها
و شرحها كبار الأدباء و الكتاب فى البلد ، تعمل عملها
الطبيعى فى أذهان الناس و تلتهمها الطبقة الجامعية المثقفة و الشباب
الناشئ و الضباط فى الجيش ، و كل ذكى و ثائر على الأوضاع
الفسادة السائدة التى لا تطاق ، و تظهر فى هذه الأغراض كتب
و مؤلفات يقرؤها الشبان عند المراهقة الفكرية فيسيغونها و
تصبح جزءاً من فكرتهم و عقيدتهم و مطامحهم فى الحياة ، و
ينظرون إلى هذه الفلسفات كالأطريق الوحيد للتنهضة بالبلاد و مجارة
الدول و الاقطار الحرة الراقية ، و تعجز المعارف و وسائل
التربية و التوجيه و الأدب المقبول عن أن يخلق فى هؤلاء تفكيراً
أسمى و طموحاً أبعد من هذه الخطط التقليدية المرسومة المرددة فى
كل بلد ، و التى سبق إليها كمال أتاتورك ، و تحققت له الزعامة
فى حركة التغريب ، و تطوير البلاد و المجتمع و العقلية من الأساس

الاسلامى الايمانى الى الاساس الغربى المادى ، فيحاولون تقيدها و تطبيقها فى بلادهم باختلاف نوع القومية (١) ، و باضافة الاشتراكية التى لم تبلغ فى عصر كمال أتاتورك هذا الطور الواضح المتميز القوى ، و لم تكسب هذه السيطرة ، و هذا السحر على العقول و الافكار ، و لم يبق لهذه الطبقة إلا أن تتولى القيادة و تجد فرصة لتطبيق مخططها الفكرى .

جاءت ثورة ٢٣ يولييه ١٩٥٢م و نجحت بطبيعة الحال و رحب بها كل ساخط على الأوضاع الفاسدة و كل محب للبلاد و للنهضة و القوة و الاستقلال ، و عقد بها الناس — على اختلاف طبقاتهم و وجهات نظرهم — آمالا كثيرة مختلفة ، و كان فى إمكانها و استطاعتها أن تعيد إلى مصر مكان الصدارة فى العالم العربى ، الزعيم للاسلام و مكان التوجيه و الثقة و الاحترام فى العالم الاسلامى ، و أن تشق طريقها إلى الامام ، و أن تنهج لها نهجاً فى الحياة يوافق طبيعة الشعب المصرى المسلم القوى فى إيمانه و فى عاطفته الدينية ، و طبيعة العالم العربى الذى أبى الله أن ينهض و يتحد و يسود إلا بهذا الدين الذى اختاره لزعامته و قيادته ، و يوافق طبيعة العالم الاسلامى الذى لا ينشط و لا يتحمس و لا يرتبط إلا بدعوة دينية ، و يوافق طبيعة العصر الذى ضاق بالقوميات و تخطى — فى سيره الحثيث — العصبيات التى تقوم

١ - القومية العربية بدل القومية التركية .

على أساس العنصرية أو اللغة أو اللون أو الوطن ، و صار ينظر إلى هذه الروابط و الجامعات كدعوات رجعية جاهلية تمزق الأسرة الانسانية و الوحدة البشرية ، و ينتظر من شعب عربى قيادة أوسع نظراً و أكثر « تقدمية » من القوميات ، و كل ينتظر من قادة هذه الثورة الموقفة عقلية أوسع ، و صدرأ أرحب ، و ذكأأ أكثر عمقأ ، و تخطيطأ أكثر أصالة ، و مطابقة للواقع .

محاولة تطوير المجتمع

المصرى والعربى كليأ : و لكن تحقق سريعأ أن هذه الثورة ليست إلا « الطبعة العربية الجديدة » (مزيدة منقحة) بحركة التغريب والتطوير التى تزعمها كأل فى تركيا ، و أنها فكرة مستقلة ، و فلسفة قائمة بذاتها ، و خطة كاملة مصممة تصميماً دقيقأ لتطوير المجتمع المصرى — وبواسطته و عن طريقه — المجتمع العربى تطويرأ قومياً مادياً اشتراكياً ، حتى تصبح مجتمعاً جديداً ، « يستخلص لنفسه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم أخلاقية جديدة و تعبر عنها ثقافة وطنية جديدة (١) » ، و ينظر إلى الحرية ، و الاشتراكية ، و الوحدة (٢) ، كأسس الحياة و أهداف النضال و يبحث عن جذور النضال المصرى « فى التاريخ الفرعونى صانع

١ - نفس التعبير الذى جاء فى النص الرسمى لميثاق العمل الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى يوم ٣١ مايو ١٩٦٢م أنظر الباب الأول نظرة عامة .

٢ - أيضاً

الحضارة المصرية و الانسانية الأولى (١) ، و يحدد فضاله للأمة العربية التي تقوم على وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكرة و العقل و وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير و الوجدان ، ووحدة الأمل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير (٢) ، أما الدين الاسلامى - الذى هو دين العرب إلا من شذ منهم - فينظر إليه كأي دين من الأديان الكثيرة التي تدين بها أمة أو بلاد ، و يضعها جمعياً في صعيد واحد ، و مستوى واحد ، و يسمح لها بالبقاء و يعترف بها - جمعياً - بالشرف و التأثير ، إن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية الخالدة التابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان و على إضاءة حياته بنور الايمان و على منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير و الحق و المحبة (٣) ، و يتكلم عن هذه الأديان كأي اشتراكى مادي لا ينظر إلا إلى قيمة الأديان المادية و الثورية و دورها في التاريخ الانسانى ، و لا يؤمن بالآخرة و الحقائق الغيبية ، و إلى قيمة العقيدة الدينية و الثواب الاخرى ، إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان و سعادته ، و إن واجب المفكرين الدينين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر

١ - الميثاق القومى الباب الثالث .

٣ - ايضاً ، الباب السابع .

٢ - ايضاً الباب التاسع .

رسالته (١) ، و ينظر إلى المجتمع و أعضائه و حقوقهم نظرة لا تقيد بالتشريعات الاسلامية و الحدود التى بينها الله تعالى للانسان ، و إنما تقوم على أسس المجتمع الغربى والتفكير العصرى ، فالمرأة فى نظره « تساوى بالرجل و لابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمل و ايجابية فى صنع الحياة (٢) »

و بصرف النظر عن هذه التفاصيل والشواهد فانه مما لاشك فيه أن الفكرة التى تسيطر على هذا الميثاق و واضعه ، و التى دفعت إلى سبكه فى هذا القالب هى الفكرة المادية ، و للانسان أن يسحب من نص الميثاق كلمة الغرب و مصر التى تتردد كثيراً و مايدل على البيئة التى صدر فيها هذا الميثاق . و ينسب إلى أى جمهورية علمانية اشتراكية فى الشرق ، وكلها تعترف بحرية العقيدة الدينية و قداستها ، و بتأثير القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان فى تاريخ الانسان و المدنية .

و قد اتخذ قادة الثورة خطوات حاسمة ايجابية لتطوير المجتمع المصرى و تطوير العقلية المصرية — كمرحلة إلى تطوير العقلية العربية — فشجعوا على الايشادة بالقومية العربية كديانة و عقيدة ، و جعلوا الأدباء و الكتاب يتغنون بها ، كالمهدف الاسمى ، و يتغنون بأبجاد العهد الفرعونى ، و الدعوة إلى إحيائها ، و الفرعونية

كقومية وحضارة وتراث ، و هتف الهااتفون « نحن أبناء العرب
 و الفراعنة ، و لم تعد كلمة « فرعون » تثير في النفوس الكراهية
 و الاحتقار ، و معانى اللعنة و العار ، التى ألحقها به القرآن ،
 و آمن بها المؤمنون فى كل مكان و زمان ، و أصبح العرب
 و العروبة تشارك الله فى العزة و الكرامة ، فيقول القائلون
 « العزة لله و للعرب » و يرحبون بكل من يغلو فى ذلك و يببالغ
 و لو وصل إلى درجة الكفر ، و خرج من الاسلام ، و يشجعون
 على ذلك بالجوائز و الصلات و أنواع التحييد و أساليب التحسين ،
 و أرخوا العنان للكتاب و الصحفيين يسترسلون فى ذلك ماشاؤا ،
 و سمحوا للصحف أن تستهزئ بالدين و شعائره و مقدساته و
 تنتهك الحرمات و تنشر فى المجتمع الخلاعة و الاستهتار و الميوعة ،
 و لم يردنها التأميم إلا خبالا و إسرافا فى نشر الصور العارية
 الخليعة ، و الروايات الماجنة و القصص الغرامية ، و أخبار
 الحوادث المثيرة للفرجة الجنسية و الإيجرام ، حتى يتطور المجتمع
 و تتطور العقلية و تأخذ لونها المادى ، و طابعها الاشتراكى .
 و اتخذوا لتطوير المجتمع خطوات ايجابية أخرى ، من تطوير
 الأزهر ، و إلغاء المحاكم الشرعية ، و القضاء الشرعى ، و الوقف الشرعى
 و من التعليم المختلط و العناية الزائدة بالبرامج الثقافية ، و الرقص و الغناء .
 سوء تأثير الثورة المصرية
 و قيادتها فى العالم العربى : و أصبح الشباب العرب ، و كل ذى

طموح من تمنى مجد العرب و تمنى لهم كيانا و دولة قوية موحدة
 تقوم فى الشرق الأوسط يتخذ « الجمهورية العربية المتحدة » مثلا
 أعلى و يدين بحبها و يعتبرها انتفاضة الروح العربية تعيد إلى العرب
 كرامتهم ، و محدهم الغابر و سيادتهم المسلوبة ، و لا غرابة فى
 ذلك ، و لا ما يستحق اللوم والعذل ، فالإنسان مفطور على حب
 المجد و الغلبة و القوة ، و للشباب العرب كل حق فى أن يشدوا
 المجد ، و يريدوا القوة ، و يعضوا على الوحدة بالتواجذ ، و
 لكن — مع الأسف الشديد — قد اقترنت بالثورة المصرية وفلسفتها
 فى العهد الأخير معانى و حوادث و تصرفات ، و توجيهات
 تضعف قيمة الاسلام و تقطع رابطة هؤلاء العرب و قادتها عن
 إخوانهم فى العالم الاسلامى ، و تنشئ فيهم المبالغة فى تقديس
 القومية العربية ، و التعصب لها ، و الايمان بها كفكرة كاملة
 و ديانة لها مفهومها العقائدى ، و قد بدأ الاتحاد يتشر بسرعة
 غريبة فى الشباب المثقف فى العواصم العربية و تبدر من المتحمسين
 منهم كلمات يخاف منها على صاحبها الكفر و المروق من الدين ،
 و أصبحوا لا ينظرون إلى الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم —
 كمنقذ للعرب ، و مصدر الحياة الجديدة و الكرامة و الشرف
 و الخلود لهذا الشعب العظيم ، و يرجعون إلى الماضى السحيق
 و يحيون أمجاده و حضارته ، و يغضبون للجاهلية إذا ذمت و
 تأخذهم حية الجاهلية .

طليلة ردة فكرية : إنه نذير شر خطير ، و طليعة ردة فكرية و ثقافية و دينية لا يتداركها و لا يجبر كسرهما أعظم مجد ، و أقوى دولة ، و أكبر نهضة ، و أهول قوة ، إنها خسارة ليست فوقها خسارة ، إنها طريق إلى الخزي و العار ، و التشتت و الفرقة ، و الهزيمة و الإخفاق بعد الإخفاق ، و الخيبة إثر الخيبة في الدنيا ، و لعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون ، و يصدق عليهم قوله تعالى ، « قل هل تنبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه ، فخبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة و زنا (١) » .

الأقطار الاسلامية المتحررة

حديثاً في طريق « التغريب » : و أخاف أن تكون هذه قصة القادة المتجددين الثوريين ، و قصة كثير من الأقطار الشرقية التي تحررت و نالت استقلالها في مدة قريبة ، يظهر أن زعماءها و ولاة الأمور فيها قد صمموا على تطبيق الفلسفة الفكرية الغربية — بشعبها الاقتصادية و السياسية و الثقافية — و فلسفة القومية المادية في بلدهم الاسلامي ، فهم في حرب دائمة دامية مع الطبيعة الاسلامية العميقة الجذور الممتدة العروق ، و في صراع مع الجهاز الاجتماعي والعلمي و الخلق ، الذي فيه الخير الكثير والقوة التي

ترهب و يحسب لها الحساب ، و يمكن أن تنمى و تستغل لصالح
الامة و البلاد ، و فى صراع مع المعنويات التى نشأت و رسخت
فى نفوس أفراد هذه الامة و أجيالها ، بجهود جبارة و دماء زكية
سنية ، و إخلاص ليس له نظير ، و على حساب الايمان — بالله
و بالرسول و بالغيب — الذى لا يصنع فى المصانع ، و لا يولد
بالخطب الرنانة ، و لا يخلقه إلا تأثير الرسل و شخصيتهم القوية ،
و جهود الدعاة المخلصين من الطراز الأول ، و الذى إذا فقد من
الامة لا يعود بسهولة ، و لا يملأ فراغه شعور قومى ، أو وعى
سياسى أو تقدم فى المعرفة و الثقافة ، و الذى صنع المعجزات فى
القديم ، و خلق بأن يصنعها فى كل وقت ، و على حساب العاطفة
الدينية التى يرجع إليها الفضل فى الفتوح و الانتصارات القومية
و السياسية ، و تجلت قوتها فى معركة القناة ، و تحرير الجزائر ،
و تكوين دولة على أساس الاسلام و القومية الاسلامية فى شبه
قارة الهند (١) لا يحلم بها فى عصر السياسة الوطنية والعلمانية .

عملية هدم و إزالة أنقاض : و هكذا تغرز شجرة الحضارة الغربية
و الفلسفة الغربية التى ساهم فى نشأتها و سموها مناخ خاص ، و
سقى خاص ، و غذاء خاص ، و قد توفرت هذه العوامل كلها
فى الاراضى الأوروبية ، تنقل هذه الشجرة — بعد ما كبرت و
ترعرت — إلى الارض الاسلامية فتغرز فيها و تنصب بقوة ،

و يهيا لها الجو ، و يحفر لها الأرض حفراً عميقاً ، و يقوم الحريصون على نصبها في البلد الاسلامى بعملية الهدم الواسعة و إزالة الانقاض الفكرية و الاجتماعية — كما يسمونها — من حولها ، و تستغرق هذه العملية الهدامة جهوداً و طاقات و أوقاناً كانت تعود على الأمة و على البلاد بنفع كبير ، لو وجهت إلى عملية إيجابية بناءة ، و إلى إثارة القوى الكامنة في نفوس رجال هذا الشعب الاسلامى عن طريق الايمان والدعوة الدينية ، والاصلاح الخلقى .

رجعية التقدميين : وقد يلجأ هؤلاء المتجددون في سبيل التجديد إلى بعض الفلسفات و النظم و الروابط ، التى فقدت قيمتها و مكانتها في المجتمع الأوروبى من زمان ، و أصبحت تعتبر من الشعارات الرجعية و من التجارب القديمة التى لجأ إليها القادة في أوربا في ظروف خاصة ، و في وقت محدود ، ثم استغنوا عنها بما رأوا من أضرارها و جنائياتها و تركوها إلى فلسفة أو فكرة أفضل منها و أوسع ، و خير مثال لذلك « القومية » التى تخلت عنها أوربا تقريباً و بعض عليها بعض القيادات في الشرق الاسلامى بالنواجد ، و ترى فيها الأسلوب الأخير من التفكير ، و آخر ما وصل إليه العقل البشرى من وسائل التنظيم و التخطيط مع أنها من بقايا عصر البداوة والحياة القبلية المحدودة في صورة موسعة ، و طمر بالخلع الأوربيون ، و من العوامل الهدامة التى فرقت

المجتمع البشرى و وزعت الجليل الانسانى على نفسه .
تقليد دعاة التجديد : إن هذه المحاولة المخلصة الملحفة لتطبيق تجارب
الحياة الأوربية فى بلد إسلامى يبرهن على أن قادة هذه البلاد
— و إن دوت أسماؤهم فى العالم و قادوا الجماهير الكثيرة —
لا يزالون — رغم ثقافتهم العصرية الواسعة — فى دور الطفولة
العقلية التى يكثر فيها التقليد و المحاكاة و التلذذ المتواضعة
لأساتذتهم الغربيين ، و أن شخصياتهم مجردة عن كل ابتكار و عن
القدرة على الاتاج الأصيل و الإبداع ، و عن التفكير الحر ،
و إنهم فضلا عن جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الشعوب التى يحكمونها،
و لمواهبها و طاقاتها لا يسايرون الفكر الأوربى فى تقدمه و
أطواره ، و لا يعرفون ما يجيش به المجتمع الأوربى من قلق
و تدمر ، و بحث عن الايمان و الروحانية .
صراع بين الحكومات

و الشعوب : إنهم فى بلاء و شقاء من هذه الشعوب التى
لا يسهل عليها التخلى من المبادئ الدينية ، و من ثروتها الايمانية
و من تراثها الغنى ، و الانقطاع عن منابع الحياة و القوة التى
تكن فى مصادرها الدينية . و أدها الإسلامى ، و تاريخ الإصلاح
و التجديد ، فهم فى عملية هدم واسعة الأكناف ، طويلة المدى ،
محاربة من جهات كثيرة ، و الشعوب الإسلامية — التى وقعت
تحت حكمهم و قيادتهم — فى بلاء و شقاء من هؤلاء القادة ،

فهم يحاربون طبيعتها و يقودونها بهتافات و شعارات لا تسيغها هذه الشعوب و لا تشط لها ، و لا تستطيع أن تحبب إليها الموت و الغداء ، و تهون عليها بذل النفوس و الأموال و الهجرة من الأوطان ، و تغلب على الشهوات و الأنانية الفردية ، و قد عرف هؤلاء القادة ضعف هذه الهتافات و الشعارات في إثارة الحمية ، و إشعال الحماسة في نفوس الجماهير فهم يلجأون دائماً أيام الجدد و المعارك الدموية الحاسمة إلى الهتافات الدينية و الشعارات القديمة من الجهاد في سبيل الاسلام و الشهادة في سبيل الله حتى إذا وضعت الحرب أوزارها ، و تسلبوا مفاتيح البلاد ، عادوا إلى هتافتهم ، و شعاراتهم القومية و الزمنية ، و يفترضون أنهم يحكمون شعوباً ليست لها ديانة تحبها و تقدسها و تستमित في سبيلها ، و ليست لها عاطفة دينية تحتاج إلى الترية و الاستثمار .

إهمال طاقات وكنوز مخبوءة : وهكذا تضع طاقات هذه الشعوب و مواهبها ، و إمكانياتها التي لو استثمرت و قدرت حق التقدير ، و كان القادة « واقعيين » أكثر منهم « خياليين » ، لفعلت الأعاجيب ، و كانت قوة يحسب لها الحساب الكبير في ميزان القوى و في ميزان « المعسكرات » ، و لا سبب في ذلك إلا ضيق تفكير هؤلاء القادة ، و تقليد هذه الحضارة ، و التصميم على تطبيقها في بلدهم بمخاديفها ، و هذا بتأثير الثقافة الأجنبية التي تلقوها في الخارج ، أو خضعوا لها و هضموها في داخل بلادهم .

خضوع قادة البلاد الاسلامية

للحضارة الغربية و قيمها : و يعجبني في ذلك ما قرأته حديثاً
لكاتبة أمريكية فاضلة اهدت إلى الاسلام قريباً ، و هي تصف
هذه الطبقة الحاكمة ، و قادة البلاد الاسلامية و خضوعها للثقافة
الغربية و تقديسها الزائد للحضارة الاوربية ، تقول الفاضلة مريم جميلة
(Margaret Marcus) سابقاً ، في كتابها الجديد (Islam -
Versus the West).

إن الحضارة الغربية بقوتها الاقتصادية و السياسية الفائقة ،
استطاعت أن تبسط نفوذها على العالم كله ، و لما استطاعت
الشعوب الاسوية و الافريقية أخيراً أن تنتصر في صراعها للحرية
السياسية ، و تحررت من النير الأجنبي ، كانت حضارتها المحلية
قد تحطمت قديماً ، إن قادة هذه الشعوب من غير استثناء تلقوا
ثقافتهم في معاهد أوروبا و أمريكا ، و كانت هذه المعاهد و
أساندها قد علموهم أن ينظروا إلى تراثهم الثقافي القومي بنظر
الاحتقار و الإزدراء ، و كانوا قد خضعوا عقلياً لفلسفات
الحضارة المادية .

و هكذا فإن قادة آسيا و افريقيا متفقون مع القادة
الاوربيين و الاميريكيين على أن الهدف الاسمى ، و المثل الأعلى
للجتميع البشرى هو تقدمه عن طريق الصناعات الثقيلة ، و رفع
مستوى الحياة المادية ، و توسيع القوة الاقتصادية و السياسية ،

و هنا لا ينبغي لنا أن نخلط بين أساليب الاسلام لتقرير العدالة الاجتماعية بالأساليب الغربية للوصول إلى هذا الغرض ، الاسلام ينظر إلى الرخاء المادى كوسيلة ، و بالعكس فان الغرب ينظر إليه كغاية .

لا عجب إذا كان الزعماء الآسيويون و الأفريقيون معجبين كل الإعجاب بأساليب حكم الاستبداد الجماعى السائدة فى أوربا وأمريكا، إنهم فى إعجابهم الشديد بما وصلت إليه الصين الشيوعية من التقدم و بما حازته من شرف و مكانة يحرضون أشد الحرص على تطبيق النظم الاقتصادية و السياسية الغربية فى بلادهم ، أما مادفعت الصين من ثمن باهظ لتوسعها السياسى و الاقتصادى ، و كان ذلك الثمن شقاء ملايين من أفراد الشعب الصينى ، و تحطم حياتهم ، فلا يهمهم فى قليل و لا كثير ، لأن مبدأهم « إن الغاية تبرر الوسيلة » .

قد يبدو لبعض الناس أن النبوغ و اختلاف الألوان الذى كان يوجد فى ثقافات العالم إذا ضعف فانه سينتهى بالشعوب إلى وحدة أقوى و انسجام أكثر فى الناس ، و لكننا شاهدنا بالعكس أن مبدأ هذه الحضارة الأساسى — الذى ظل يسيطر على جميع اتجاهاتها و تصرفاتها — هو الثورة على جميع القيم الروحية و الدينية ، و لما كان هذا الاتجاه ، و هذا المبدأ هما المسيطرين على العالم المعاصر ، لذلك نواجه اليوم من الكراهة الشديدة ، و الحروب الدامية ، و الثورات السفاكة للدماء ما لم نواجهه قبل هذا

اليوم في التاريخ ، و قد فقد الشعور بالمسئولية في العلاقات الدولية ، فالممثلون لأممهم في جلسات الأمم المتحدة لا يتورعون أبداً عن الكذب ، و هم يحرفون الحقائق لمصالحهم القومية الخاصة من غير أن يجدوا وخزاً أو تأنيباً من الضمير ، لأن المبدأ الذي يؤمنون به هو أن كل عمل يخدم مصالحهم القومية — و لو كان ذلك على حساب البلاد الأخرى — لا يعتبر خطأ أو جريمة ، إن هؤلاء الممثلين في الأمم المتحدة لا يصوتون على أساس أن القضية حق و صواب ، إنما يصوتون لأن ذلك في مصلحة شعبيهم أو بلادهم فحسب. إن جنائية قادة الاقطار الاسلامية ليست أقل من أى واحد في بلد آخر إنهم انخدعوا أيضاً ، بفلسفات المادية الغربية ، إن بعضهم يتحدث بالكلمات المعسولة الرنانة عن الحاجة إلى تطبيق الاسلام مع روح العصر الحاضر ، و للوصول إلى هذا الغرض هم يدعون إلى الفصل بين تعليمات القرآن الاجتماعية و بين تعليماته الروحية ، ويقولون إن المادة الأولى يعنى تعليمات القرآن الاجتماعية كانت ظل ما كانت عليه الجزيرة العربية في القرن السابع المسيحى من أحوال اجتماعية و صورتها ، فيجب أن ترفض على أساس أنها لا تلائم قضايا اليوم التى تشغل الفكر ، و يقرر أن تعليمات القرآن الروحية هى الحقيقة الخالدة ، إنهم يعارضون حقيقة راهنة و هى أن الاسلام منهج الحياة الكامل المنسجم و أنه كل لا يتجزأ و أنه يفوق جميع المناهج التى ابتكرها الغرب إلى هذا اليوم ، إن

رفض أى جزء من هذا المجموع يحطم المجموع (١) ،
الموقف الثالث : إذن فما هو الموقف الثالث ، وما هو الموقف
العادل الذى يجب أن يقفه العالم الاسلامى تجاه هذه الحضارة الغربية ؟
إنه لا يمكن تحديد موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية
حتى نعرف طبيعة الأمة الاسلامية . و مركزها فى هذا العالم ،
ثم نعرف موقفها من هذه الحياة التى تصوغ الحضارات ، وتشكل
المجتمعات و المدنيات .
مركز الأمة الاسلامية

و رسالتها : إن الأمة الاسلامية هى صاحبة الرسالة الدينية
الآخيرة ، وهذه الرسالة هى التى تسيطر — ويجب أن تسيطر —
على جميع مواقفها ، و تصرفاتها ، مركزها مركز القيادة و التوجيه ،
و الحسبة على العالم ، و القرآن يعلن بقوة و صراحة « كنتم خير
أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ، و
تؤمنون بالله ، و يقول « و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً ، « ليكون
الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس ، فلا يجوز أن
يكون مكان هذه الأمة فى مؤخر الركب ، و فى صف التلاميذ
والحاشية ، و أن تعيش على هامش الأمم و ترضى — من القيادة
و التوجيه ، و الأمر و النهى ، و الخلق و الإبداع — بالتقليد

و التطبيق ، و الخضوع و الاطاعة ، فلا يكون موقفها الصحيح إلا موقف الحر الكريم ، القوى الإرادة ، المستقل التفكير ، الذى يأخذ — إذا اضطر و احتاج — من حوله بإرادة واختيار ما يطابقه و يلائمه ، و ما لا يبرزوه فى شخصيته و تفوقه و امتيازهم ، و ثقته بنفسه و مركزه ، و ينبذ ما لا يلائمه و يضعف شخصيته و مركزه و يفقده امتيازهم و يدججه فى غيره . و لذلك نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم فى شعائرهم وشاراتهم (١)

و هى أمة ذات هدف معين فى الحياة ، و رسالة كاملة فى العالم ، و حضارتها و ثقافتها ، و كفاحها و إنتاجها ، و كل ما يتصل بها من حركة و نشاط خاضع لعقيديتها و غاياتها و رسالتها فلا قيمة عندها لفلسفة تقول « العلم للعلم » و « القوة للقوة » و « الاكتشاف للاكتشاف » ، و كذلك ليس من مهمتها بسط السيطرة على الانسان أو على الأكوان ، و تسخير الطاقات البشرية ، أو القوى الطبيعية و الفلكية لإثبات قوتها أو تقرير

١ - قال العلامة الحسين بن محمد بن عبد الله الطنجي (م ٥٧٤٣ هـ) فى كتابه الكاشف عن حقائق السنن المحمدية (شرح مشكاة المصابيح) فى شرح حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » الذى أخرجه أحمد و أبو داود . هذا عام فى الخلق و الخلق و الشعار ، و لما كان الشعار أظهر فى التشبه ذكر فى هذا الباب ، قال العلامة نور الدين على بن سلطان محمد المردى المعروف بملا على القارى (م ١٠١٤) فى المرقاة « قلت بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير ، فان الخلق الصورى لا يتصور فيه التشبه ، و الخلق المعنوى لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق (ص ٤٣١ ج ٤)

فتوحها المادية و العلية ، فان ذلك عندها ضرب من العبث ، ونوع من الأنانية المتضخمة ، و القرآن يتلو عليها و يضبط اتجاهاتها و طموحها بقوله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض و لافساداً ، و العاقبة للمتقين (١) »

المؤمن القوى العليم

الصالح المصلح : إنما يسمح لها الاسلام بالكفاح في سبيل الحياة و الطبيعة و العلم — و قد يبحث عليه — لصالح البشرية و للغايات الكريمة إلى حد الضرورة ، و قد ضرب الله لها مثلاً في القرآن « بالإنسان القوى العليم الصالح المصلح الذي يسخر القوى الكونية و المادية ، و يملك أعظم مقدار من الأسباب و الوسائل و يوسع فتوحه و مغامراته و هو في كل ذلك ، و في أوج قوته و سلطته و سيادته ، و تسخيره للقوى و الأسباب مؤمن بربه ، خاضع له ، مؤمن بالآخرة ، ساع لها مقر بضعفه ، رحيم بالإنسانية و بالأمم الضعيفة ، حام للحق ، يستخدم كل قوته و جهوده و مواهبه ، و جميع وسائله و ذخائره لخدمة الإنسانية ، و تكوين المجتمع الصالح ، و إعلاء كلمة الله ، و إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، و من عبادة الناس و المادة إلى عبادة الله ، سيرة مثلها سليمان بن داود في عصره ، و مثلها ذوالقرنين في عصره ، و مثلها الخلفاء الراشدون و الأئمة المهديون

في عصورهم (١) »

الحياة كمرحلة عابرة

ووسيلة للآخرة : أما موقفها من هذه الحياة ، فهو موقف من لا يراها الغاية الأسمى و المثل الأعلى ، و سدرة المنتهى في السعادة و التقدم ، إنما ينظر إليها كمرحلة « عابرة » لا بد من اجتيازها ، و كوسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر ، و الحياة الدائمة ، و العيشة الراضية ، إن القرآن يقرر — بكل وضوح و قوة — قصر هذه الحياة الدنيا ، و تفاهتها و تضائلها في جنب الآخرة ، فيقول مثلاً : « فمتاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٢) » و يقول « ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو و لعب و إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (٣) » و يقول « إعلموا إنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم ، و تكاثر في الأموال و الأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاماً ، و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان ، و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٤) »

و يقرر كذلك — في وضوح و قوة — أنها قنطرة إلى الآخرة ، و فرصة للعمل ، فيقول : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة

١ - تفسير سورة الكهف للمؤلف « المسلمون » المجلد السادس عدد ٤

٢ - العنكبوت ٦٤

٣ - برآة ٣٨

٤ - الحديد ٢٠

لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (١) ، و يقول « الذي خلق الموت
و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، و هو العزيز الغفور (٢) »
و يقرر أن الآخرة خير و أبقي فيقول « و ما الحياة الدنيا إلا
لعب و لهو و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣) »
و يقول « و ما أوتيتم من شئ فتاع الحياة الدنيا و زينتها و ما
عند الله خير و أبقي أفلا تعقلون (٤) » و يذم و يشنع على من
يؤثر الدنيا — هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة — على الآخرة
— الباقية الخالدة ، الواسعة الصافية من الأكدار ، الخالية من
الآخطار — فيقول « إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة
الدنيا و اطمأنوا بها ، و الذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك
مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٥) » و يقول « من كان يريد
الحياة الدنيا و زينتها نوف إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون ،
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، و حبط ما صنعوا
فيها و باطل ما كانوا يعملون (٦) » و يقول « و ويل للكافرين
الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، و يصدون عن سبيل الله
و ييغونها عوجاً ، أولئك في ضلال بعيد (٧) » و يقول
« يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا ، و هم عن الآخرة هم غافلون (٨) »

١ - الكهف ٧	٢ - الملك ٢
٢ - الأنعام ٣٢	٤ - القصص ٦١
٥ - يونس ٧ - ٨	٦ - هود ١٦
٧ - إبراهيم ٣	٨ - الروم ٧

و يقول : « فأعرض عن تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى (١) » و يقول « إن هؤلاء يحبون العاجلة ، و يذرون ورائهم يوما ثقيلا (٢) » و يقول « فأما من طغى و أثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى (٣) »

و يمدح من يجمع بين الدنيا و الآخرة مع إشار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، و معرفة قيمتها و فضلها و الحرص عليها ، فيقول « فن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و ماله في الآخرة من خلاق ، و منهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار (٤) » و يقول على لسان نبي الله موسى « و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة و في الآخرة إنا هدنا إليك (٥) » و يمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام فيقول « و آتيناه في الدنيا حسنة و إنه في الآخرة لمن الصالحين (٦) »

و خير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، و يحدده بدقة و مقدرة ليست فوقها ذقة و مقدرة هو الجملة الحكيمة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه في أيام الجمعة ، « إن الدنيا خلقت لكم و أنكم خلقتم للآخرة » فالمسلم يجمع

٢ - الانسان ٢٧

٤ - البقرة ٢٠٠ - ٢٠١

٦ - النحل ١٢٢

١ - النجم ٢٩ - ٣٠

٣ - النساء ٢٧ - ٢٨ - ٢٩

٥ - الاعراف ١٥٦

بين الانتفاع بمرافق الحياة و أسباب الدنيا و استخدامها كشي خلق
لأجله و سخره ، و بين السعى للآخرة و الكفاح لها كغاية خلق
لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا و قواتها و وسائلها كطية و مركب
لا كراكب و متصرف ، و كملوك و رقيق لا كمالك و سيد ، و
وسيلة لا كغاية ، و ينظر إلى الآخرة كغاية ينتهى إليها و وطن
يلجأ إليه فيجمع عليه همه و يرهق له قواه و يحث إليها مطية ،
و ذلك مثل النبوة الذى مثله الرسول صلى الله عليه وسلم إذ
قال « ما لى و للدنيا و ما أنا و الدنيا إنما أنا كراكب استظل
تحت شجرة ثم راح و تركها (١) »

و قد تجلت هذه النفسية القرآنية أو النظرة القرآنية إلى
الحياة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و تعاليمه و سلوكه ، و
كلامه و عواطفه و أمانيه و دعائه و سره و علنه ، و تجلت
كذلك فى حياة الصحابة الذين تربوا و تكونت سيرتهم و عقليتهم
فى حضائمه و تحت إشرافه و من كان على نهجهم و على غرارهم
من التابعين و المؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعاً
لحياتهم ، و مزاجاً لا ينفك عنهم ، و أصبح من الحقائق التاريخية
التي لا يمارى فيها .

و هنا تتعارض الأديان السماوية ، و تعاليم النبوة أو
مدرسة النبوة — إن صح التعبير — مع الفلسفات المادية ، و

١ - رواه أحمد و الترمذى

التفكير المادى الذى يلح على أن هذه الحياة الدنيا هى كل شئ ،
و هى المنتهى ، و يبالغ فى تمجيدها و تقديسها و الاحتفاء بها ،
و الحرص على ترفيهها و تحسينها و تزيينها .
حضارة ثائرة على القيم

الدينية و الروحية : و قد كان من المصادفات الالمية المحزنة ،
و المأسى الفاجعة للبشرية أن الحضارة الغربية قد ولدت و ترعرعت
فى عصر قد ثار على الدين و أسسه من الايمان بالغيب و غير
ذلك ، و فى أمة قد ثارت على الذين تزعموا الدين و استغلوه
لشهواتهم و أنانياتهم ، و اشتد غضبها عليهم لسوء سيرتهم و
همجيتهم و وقوفهم فى سبيل التقدم و حرية العقل والعلم ، فترافق
نشوء الحضارة و الصناعة و الاتجاه المادى الغنيف ، الاتجاه إلى
تنظيم الحياة على أسس مادية خالصة ، و قطع صلة المجتمع و البشرية
عن فاطرها و مصرف هذا الكون ، و كل ذلك اقتضته سلسلة
الأسباب و طبائع الأشياء ، و وضع أوربا الخاص ، فشبت هذه
الحضارة و اختمرت و هى المسيطرة على القوى و الأسباب ،
قد بلغت الغاية فى التقدم و الصناعة و علوم الطبيعة حتى استطاعت
أخيراً أن تعدم المساحات و الأبعاد ، و تتجاوز الكرة الهوائية ،
إلى غير ذلك من الفتوح فى دائرة العلوم الطبيعية و الفلكية (١) .

١ - منقول من تفسير سورة الكهف للمؤلف المشهور فى « المسلون » المجلد السادس

(١٣٧٧ هـ) عدد ١ - ٢ - ٣ - ٤

سيطرة « المادية » على قادة

التجديد في الشرق الاسلامى : و قد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد و بالأصح التغريب في الشرق الاسلامى و تواصلوا - من عهد كمال إلى عهد جمال - على الافتتان بالتقدم المادى و اتخذوا القوة و الرفاهية إلهاً يقدس و يعبد و يكفر بغيره ، و يضحى على أنصابه بكل القيم الخلقية و الروحية ، و ما ليست له قيمة مادية . و حسب القارئ أن يقرأ خطب هؤلاء الزعماء القوميين و القادة السياسيين ، و ما يكتبونه بين آونة و أخرى ، و ما يدلون به من تصريحات ، و ما يتخذونه من إجراءات رسمية و خطوات عملية و ما يعاملون به الأحزاب التى تفكر غير هذا التفكير ، و تسير غير هذه السيرة . و تنتقد هذه الاتجاهات ، و حسب أن يقرأ مشاريع الحكومة و الخطط المستهدفة و مجالات النشاط و الحركة و الحماسة فى الدوائر الرسمية ، يراها مقتصرة على ترفيه البلاد و تقويتها مادياً ، و رفع مستوى الحياة ، و مجارة الشعوب التى لا تعرف غير المادية و المحسوسات حقيقة ، و لا تعرف غير القوة إلهاً و لا تعرف غير التقدم المادى و الرفاهية الدنيوية هدفاً و غرضاً ، و لا تعرف غير مجموعة الأفراد الذين تربط بينهم - رابطة قومية أو معاهدة سياسية - مجموعة بشرية ، تستحق الاحترام و الاهتمام ، إن هذه هى النفسية التى جرت على العالم الشقاء و البلاء فى كل زمان ،

و هي العقلية الضيقة السقيمة التي حاربتها الأديان ، و جاء يمحوها
الاسلام ، و أن احتضان قادة بلد اسلامى لهذه الفكرة والعقيدة
المادية الضيقة نكسة عظيمة في التفكير لاتدل إلا على ضعف الايمان
و سوء التربية ، و سقوط المهمة ، و قصر النظر ، و شقاء هذه
البلاد أولاً ، و شقاء العالم الانساني ثانياً .

إن الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومركز هذه الأمة في
العالم ، و معرفة رسالتها و الايمان بقيمتها ، و التأكيد على قيمة
الآخرة و مابعد هذه الحياة — من سعادة و شقاء و جنة و نار —
و التأكيد على الجانب الخلق و الروحي من الحياة ، هو الخط الفاصل
الذى يشكل الحد الفاصل الرسمي (Line of Demorcation) بين
الحضارتين ، حضارة يوافق عليها الاسلام ، و يتحمل مسئوليتها ،
و يباركها ، و تتجلى فيها الشخصية و الأصالة و الاتباع ، و حضارة
يتبرأ منها الاسلام ، و ينحسر فيها المسلمون ، و تتجلى فيها العبودية
و الرضوخ و الاستسلام ، و العبادة التي لا تعرف إلا تقليد
البيغاوات ، و محاكاة القروء .

محنة ذكاء و قوة إرادة : إن التصميم الحضارى لمحنة ذكاء ، و
عصامية و عبقرية ، و قوة إرادة ، و فقه دين ، ليست مجرد عملية
نقل و تطبيق ، و تعديل و تحسين ، إن الاسلام قد حدد حدود
الحلال و الحرام ، و حرم تخطى هذه الحدود ، و أفسح المجال بينها
للتمتع الكريم النزيه ، في غير إسراف و إحجاف ، و من بحقوق

الآخرين وحظوظهم ، ومن غير تعرض لخطر الوقوع في الإيثار و
الفحشاء ، والتبذير ، والحياة التي لاتليق بالذكور الرجال ، والكرام
الأقوياء ، وهذه هي الروح التي تسيطر على أحكام اللباس و
الطعام والعشرة والاجتماع والمتعة واللذة ، وحث على مراعاة
المصالح ، والتجنب من المضار والمفاسد ، وإعداد الممكن المستطاع
من وسائل القوة والدفاع ، واقتباس الصالح النافع من العلوم و
الحكمة ، بشرط أن لا يكون ذلك على حساب مقومات الشخصية
والكرامة القومية - الاسلامية - و بشرط أن لا ينشئ ذلك في
الامة شعوراً بالنقص ، وقصوراً في الثقة ، وروح اندفاع سريع
متهور إلى تقليد الآخرين ، والتشبع بروحهم ، وإجلال حياتهم
وتقديسها .

نعومة حرير وصلابة حديد : إنها أساس حضارة تملك نعومة
الحرير وصلابة الحديد ، نعومة الحرير في مساهرة المقتضيات و
الحاجات والحقائق ، غير مفترضة ولا مختلفة ، و غير متخيلة و
لامبالغا فيها ، وصلابة الحديد ، وثبات الجبال على حدود العقيدة
والاخلاق ، إنها مفتوحة العقل والضمير ، منسرحة الصدر ،
متباعدة لاقتباس العلوم النافعة التي نشأت ، وتكونت في جانب بعيد
في هذا العالم ، واقتباس النظم والأساليب التي لاتمس جوهر الدين
ولا تغير وضع الاخلاق .

الإفادة من الغرب ومجالها : وأحل هذا الفصل الذي يحدد موقف

العالم الاسلامى من حضارة الغرب و ثقافته بقطعة جميلة من كتاب « الطريق إلى مكة » للاستاذ محمد أسد ، فقد بدا فيها الايزان و الحصافة الفكرية ، و هى تحدد — بلباقة فائقة و مقدرة كبيرة — الخط العادل المتزن الذى يجب أن يسير عليه العالم الاسلامى فى الافادة من الغرب ، و تبنى الوسائل الحديثة ، يقول محمد أسد :

« إن عالمى الاسلام والغرب لم يكونا يوما أقرب أحدهما من الآخر ، كما هما اليوم ، وهذا القرب هو صراع ظاهر و خفى ، ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين و المسلمات لتغضن رويداً رويداً تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية ، إنهم يتركون أنفسهم . يتعدون عن اعتقادهم السابق بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب أن لا يكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الانسان الروحية ، إنهم يسقطون فى وثنية « التقدم » نفسها التى تردى فيها العالم الغربى بعد أن صغروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة فى مكان ما من مؤخرة الأحداث ، ولذلك تراهم يصغرون مقاما و لا يكبرون ، ذلك أن كل تقليد ثقافى ، بخلاف الخلق و الايداع لابد أن يحقر الأمة و يقلل من شأنها .

أنا لا أعنى أن المسلمين لا يستطيعون أن يفيدوا كثيراً من الغرب ، و بخاصة فى مجال العلوم و الفنون الصناعية ، ذلك أن اكتساب الأفكار و الأساليب العلمية ليس فى الحق « تقليداً » ، وبالتاكيد ليس فى حالة قوم يأمرهم دينهم بطلب العلم فى حيشما يمكن أن يوجد ،

إن العلم لا غربى و لا شرقى ، ذلك أن الاكتشافات العلمية ليست
إلا حلقات فى سلسلة لانهاية لها من الجهد العقلى الذى يضم الجنس
البشرى بكامله ، إن كل عالم يبنى على الأسس التى يقدمهاله أسلافه ،
سواء كانوا من بنى أمته أو من أبناء أمة غيرها ، و عملية البناء و
الاصلاح و التحسين هذه تستمر و تستمر ، من إنسان إلى إنسان
و من عصر إلى عصر ، و من مدنية إلى مدنية ، بحيث أن ما يحققه
عصر معين أو مدنية معينة من أعمال علمية جليلة لا يمكن مطلقاً
أن يقال إنها « تخص » و « تعود إلى » ذلك العصر أو إلى تلك
المدنية ، فقد يحدث فى مختلف الأزمنة و العهود أن تسهم أمة ما ،
أمضى عزيمة و أشد همة من غيرها ، بنصيب أكبر فى صندوق
المعرفة ، و لكن الجميع مع الزمن يشتركون ، و بصورة شرعية
صحيحة فى هذه العملية ، لقد جاء حين كانت مدنية المسلمين أقوى و
أمضى من مدنية أوروبا فنقلت إلى أوروبا كثيراً من الاختراعات
الصناعية و الفنية ذات الطبيعة الثورية ، و أكثر من هذا : مبادئ
« تلك الطريقة العلمية » نفسها التى يركز إليها العلم الحديث ، و
المدنية الحديثة ، و مع ذلك فإن اكتشافات جابر بن حيان الكيمائية
لم تجعل من الكيمياء علماً « عربياً » كذلك لا يمكن أن يقال إن
الجبر و علم المثلثات هما علان « إسلاميان » مع أن الأول منهما
بسطه الخوارزمى ، و الثانى البتاني ، و كلاهما كانا مسلمين ، تماماً
كما لا يستطيع أحد أن يتكلم عن نظرية الجاذبية « الانكليزية » مع

أن صاحبها كان انكليزيا ، كل هذه الأعمال العظيمة هي ملك مشترك بين الجنس البشرى كله ، و إذن فان المسلمين إذا تبنوا كما هو من واجهم أن يفعلوا ، الطريق والوسائل الحديثة في العلوم والفنون الصناعية ، فانهم بذلك لا يفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور و الارتقاء التي تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم ، و لكنهم إذا تبنوا — و هم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك — أشكال الحياة الغربية و الآداب و العادات و المفاهيم الاجتماعية الغربية فانهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها ، و مما يدهم عليه دينهم نفسه .

ولو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم و ارتضوا الرق وسيلة لا غاية في ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب ، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سطلاوة الحياة الضائع (١) الفراغ الأكبر

و العبرى المطلوب : - إن الفراغ الهائل الأكبر في العالم الاسلامى هو وجود ذلك العبرى العصامى الذى يواجه الحضارة الغربية بشجاعة و إيمان و ذكاء ، و يشق له طريقاً خاصاً بين مناهجها و مذاهبها ، و بين فضائلها و رذائلها ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد و المحاكاة و عن التطرف و المخالاة ، غير خاضع فيها للاشكال

١ - الطريق إلى مكة الأستاذ محمد أسد (ليوبولد سابقاً) ص ٢٧٤ - ٢٧٦

و المظاهر ، و المفاهيم السطحية ، متمسكا بالحقائق وأسباب القوة ،
و باللباب دون القشور .

العبرى العصامى الذى يشق له ولبلاده و أمته طريقاً مبتكراً
يجمع فيها بين الايمان الذى اختص به الانبياء والرسل والدين الذى
أكرمه الله و أمته به عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، و بين
العلم الذى ليس ملك أمة و لابلد و لاعصر ، يأخذ من الدين
الدوافع الخيرة التى هى أعظم قوة و أغنى ثروة فى خدمة الانسانية
و بناء صرح المدنية ، و الغايات الرشيدة الصالحة التى لا يوحىها إلا
الدين السماوى و التربية الدينية السليمة ، و يأخذ من الحضارة
الغريبة الآلات و الوسائل القوية الكثيرة التى أنتجتها و توصلت
إليها فى سيرها العلى الطويل و فى جهادها المتواصل الشاق ، و
لم ينتفع بها الغرب لإفلاسه فى هذا الايمان و فقره فى هذه الدوافع
الخيرة و فى هذه الغايات الصالحة ، بل أصبحت تستخدم فى شقاء
الانسانية و تقويض أركان المدنية أو لغايات تافهة لاقيمة لها .

العبرى العصامى الذى يعامل الحضارة الغربية — بعلومها و
نظرياتها و اكتشافاتها و طاقتها — كمواد خام ، يصوغ منها حضارة
قوية عصرية مؤسسة على الايمان و الأخلاق و التقوى و الرحمة و
العدل فى جانب ، و على القوة و الانتاج و الرفاهة و حب الابتكار
فى جانب آخر ، و لا يعامل الحضارة الغربية كشئ قد تم تكوينه
و تركيبه و ختم عليه فلا يؤخذ إلا برمته و لا يقبل إلا على علاته ،

إنما يأخذها كأجزاء ، يختار منها ما يشاء ، و يركب منها جهازاً يخضع لغاياته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه و ماتكلفه به دينه من منهج خاص للحياة ، ونظرة خاصة إلى الدنيا ، وسلوك خاص لبني النوع ، وسعى خاص للآخرة و جهاد دائم « حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » جهازاً مؤسساً على الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه المثل الكامل ، والامام الدائم والقائد المطاع والنموذج المتبع و السيد المحبوب ، و الخضوع لشريعته كدستور للحياة ، و أساس للتقنين ، و الدين الوحيد الذى تنال به سعادة الدنيا والآخرة و لا يقبل الله سواء .

العبرى العصامى الذى يأخذ من علوم الغرب ما تقتقر إليه أمته و بلاده و ماتنفع عملياً و مالىس عليه طابع غرب أو شرق ، إنماهى علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به فى القرون المظلمة و فى عصر الثورة على الدين ، وفى حالة توتر أعصاب و قلق نفوس . يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالايمان بفاطر الكون و مدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغريون .

العبرى العصامى الذى لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، و إلى نفسه كعبد و تلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق فى بعض العلوم المادية و المعاشية فيأخذ منه

مافاته من التجارب ويفيض عليه بدوره ماسعده من تراث النبوة ،
و يعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ،
فالعرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان مايتعلمه
العرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج
— بذلكه و جمعه بين حسنات الغرب و الشرق و قوى الروحانية
و المادية — منهجاً جديداً يجدد بالغرب تقديره و تقليده ، ويضيف
إلى المدارس الفكرية و المناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل
عناية و دراسة و تقليد و اتباع .

هذا هو العبرى العصامى الذى لايزال مفقوداً فى صفوف
القادة و الزعماء فى العالم الاسلامى على كثرتهم و تنوعهم ، و
هذا هو العملاق حقاً الذى يبدو فى جانبه القادة المقلدون المطبقون
صغاراً متواضعين كالأقزام .

و إنها أعظم تجربة و أبعدها أثراً ليس فى محيط شعب أو
بلد ، و ليس فى محيط العالم الاسلامى لحسب بل فى محيط العالم و فى
محيط الانسانية كلها ، و إن التاريخ شاخص يبصره إلى من يقوم بها
فى الأقطار الاسلامية و العربية ، ممسك قلبه لىسطر له سطور
الثناء و الإجلال و يقلده الزعامة الحقيقية ، و مركز التجديد
فى العالم الاسلامى ، و العبرية و العصامية فى التاريخ الإنسانى ؟



الفهرست

الصفحة

الموضوع

٥	كلمة المؤلف
٩	العالم الاسلامى امام مشكلة الحضارة الغربية
١٠	المزيج الغريب
١١	الموقف الاول السلبى
١١	حكم هذا الموقف طبعياً و شرعياً و نتائجه
١٣	مصير الاقطار التى تعيش فى عزلة عن العالم
١٦	التقاليد و العادات لا تستطيع أن تقاوم الحضارة الجديدة
١٧	لا بد من التخطيط و إصلاح الأوضاع
١٨	سبب حدوث الثورات فى العالم الاسلامى و علاجه
١٢	الموقف الثانى موقف الاستسلام و التقليد
٢٢	حركة « التغريب » فى تركيا و أسبابها
٢٤	ضياء كوك ألب و فلسفته
٢٦	دور تركيا التقليدى
٢٩	شخصية أتاترك و مآثرته التقليدية
٣٢	تأثير أتاترك فى العالم الاسلامى
٣٣	الصراع بين الشرق و الغرب فى الهند

٣٤	القيادة الدينية و المدرسة القديمة
٣٦	حركة ندوة العلماء
٣٨	قيادة السيد أحمد خان و مدرسته الفكرية
٤٤	جوانب الضعف في فكرة السيد أحمد خان
٤٨	محصول هذه الحركة و إنتاجها
٤٩	أكبر الاله آبادي ، الشاعر الثائر
٥١	الحركة الوطنية و مقاطعة البضائع الأجنبية
٥٤	محمد إقبال و نقده للحضارة الغربية
٦٢	الحضارة الغربية و الأقطار الإسلامية
٦٢	نقده لدعاة التجديد في الشرق
٦٣	إيمانه بفضل الحضارة الإسلامية و حيويتها
٦٤	المعمل الإسلامي الجديد
٦٦	العمالية في الامتحان
٦٦	أهمية الدور الذي تمثله مصر في العالم الإسلامي
٦٨	الحاجة إلى قناة جديدة
٧٠	موقف مصر التقليدي الضعيف
٧٠	السيد جمال الدين الأفغاني و انقطاعه إلى السياسية
٧٣	فضل حركة السيد جمال الدين و مدرسته

- ٧٤ حركة « الإخوان » و الخسارة بفقدانها
- ٧٥ المتخرجون في أوروبا طلائع الفكر الغربي في العالم العربي
- ٧٨ صدق أفكار المستشرقين في مصر
- ٧٩ اتجاه حركة التأليف و الترجمة إلى الأدب و الاجتماع
- ٨٠ صورة من الحياة الغربية
- ٨٢ دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب
- ٨٤ مستوى فكري نازل
- ٨٥ الطبعة الجديدة العربية للحركة الكالية التركية
- ٨٧ محاولة تطوير المجتمع المصري و العربي كلياً
- ٩٠ سوء تأثير الثورة المصرية و قيادتها في العالم العربي
- ٩٢ طليعة ردة فكرية
- ٩٢ الأقطار الإسلامية المنحرفة حديثاً في طريق « التغريب »
- ٩٣ عملية هدم و إزالة أنقاض
- ٩٤ رجعية التقدميين
- ٩٥ تقليد دعاة التجديد
- ٩٥ صراع بين الحكومات و الشعوب
- ٩٦ إهمال طاقات و كنوز مخبوءة
- ٩٧ خضوع قادة البلاد الإسلامية للحضارة الغربية و قيمها

الموقف الثالث

١٠٠

مركز الأمة الاسلامية و رسالتها

١٠٠

١٠٢

المؤمن القوى العليم الصالح المصلح

١٠٣

الحياة كمرحلة عابرة و وسيلة الآخرة

١٠٧

حضارة ثائرة على القيم الدينية و الروحية

١٠٨

سيطرة « المادية » على قادة التجديد في الشرق الاسلامى

١٠٩

محنة ذكاء و قوة إرادة

١١٠

نعومة حرير و صلابة حديد

١١٠

الإفادة من الغرب و مجالها

١١٣

الفراغ الأكبر و العبقرى المطلوب

١١٧

الفهرست

+++++